محمد صَلَّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ في شعر العباس بن مرداس

دكتــور

خالـد طلعت عبـد الفتـاح الخولـي

أستاذ مساعد بكلية اللغة العربية بالمنصورة

قسم الأدب والنقد

ملخص البحث

يدور هذا البحث حول إظهار مكانة النبي محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– في شعر العباس بن مرداس ، مع توضيح إشكالية شكك فيها بعض الدارسين وهي إشكالية الحس الإسلامي في شعره ، وذلك من خلال عرض الآفاق الموضوعية المتمثلة في الملامح المحمدية في شعر العباس بن مرداس ، والآفاق الفنية والجمالية المتمثلة في التصوير والتعبير والموسيقى ، وإشكالية مقدمة القصيدة في شعره .

***

Research Summary

This research is about showing the status of the Prophet Muhammad in the poetry of Abbas bin Mirdas, and clarifying the problematic question of some scholars, the problem of the Islamic sense in his poetry, by presenting the objective perspectives of the Muhammadiyah features in the poetry of Abbas bin Mirdas, Artistic and aesthetic horizons of photography, expression and music, and the problematic introduction of the poem in his poetry.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده ، سيدنا محمد ، وعلى الآل والصحب الكرام الذين كانوا أبر قلوبًا ، وأكثر وفاءً ، وأقل تكلفًا ، وبعد .

فهذه دراسة تعين على استجلاء بعض الجوانب المضيئة لشاعر صحابي من صحابة الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ – ، الذين أسلموا عن يقين وحب للإسلام ولنبيه – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ – ؛ حيث إن شاعرنا هذا أسلم طواعية وحبًا ، وكان إسلامه وقومه الذين بلغوا ألفًا بشرى وبركة للإسلام والمسلمين ، هذا الشاعر اتسم – في جاهليته وإسلامه – بسمة مهمة أقرها الإسلام ، ألا وهي سمة الوفاء ، فقد كان وفيًا كل الوفاء لقومه (بني سليم) ، ما فتئ يذكرهم في كل موقف من مواقف النصر والكرامة ، حتى في أعظم المواقف ، تلك التي كان يقف فيها الشاعر الفارس العباس بن مرداس بجوار النبي محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– مادحًا له ، ومدافعًا عنه ، لا يبرح أن يثني عليهم وعلى شجاعتهم ، وصمودهم ، دفاعاً عن الإسلام ونبيه – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– ، حتى إن هذه الناحية في شعره استحالت إشكالية عند بعض الدارسين الذين شكك بعضهم في الحس الإسلامي لديه ، ومدى الصدق الفني في مدائحه للنبي محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ – .

ولعل من أهم الدراسات التي تحدثت عن العباس بن مرداس :

١– العباس بن مرداس حياته وشعره للباحث / أحمد رأفت إبراهيم ، وهي رسالة ماجستير بجامعة الأزهر .

٢- الصورة الفنية في شعر العباس بن مرداس السلمي – رضي الله عنه – دراسة نقدية ، إعداد / هاني بن محمد بن عسيل الجهني ، رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

٣- دراسة فنية في شعر العباس بن مرداس السلمي ، إعداد الطالبة / أزهار أحمد الأمين الحسن ، رسالة ماجستير بجامعة النيلين بالسودان ٢٠٠٤م .

٤- العباس بن مرداس ، د/ إبراهيم عوضين ،مقال بمجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة ، العدد الرابع .

٥- وقفات نقدية مع تحقيق ديوان العباس بن مرداس السلمي ،د/ محمود أبو الخير ،بحث مقدم إلى المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها – مجلد (٥) العدد (٢)، ٢٠٠٩م.

٦- جدلية القلق في شعر العباس بن مرداس الصحابي الشاعر يوم حنين ، د/ شودافي أحمد السيد علام ، بحث مقدم إلى مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة ، العدد ٣٠ ، الجزء ١ ، سنة ٢٠١١م .

ومن ثم جاءت تلك الدراسة التي عنونت بهذا العنوان : (محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– في شعر العباس بن مرداس) ؛ لتعين على توضيح مكانة النبي محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– من قلب الشاعر ، استنباطًا من شعره أو – بتعبير آخر – كيف كان العباس محبًا للإسلام ولنبيه – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– ، وكيف كان مضحيًا بنفسه وماله وقومه ، نصرة وإعلاءً لدين الله عز وجل ، منطلقًا من حبه الشديد للنبي محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– ، خير البرية الذي نور بالبرهان أمرًا مدمسًا .

وتعتمد هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي في معالجة النصوص دون تحميل النص فوق ما يحتمل .

وتقتضي طبيعة هذه الدراسة أن تشتمل على فصلين يسبقهما مقدمة ثم تمهيد عن (الشاعر : الحياة والسيرة) ، وتعقبهما خاتمة ففهرس للمصادر والمراجع ، وآخر للمحتوى ، ويدور الفصل الأول حول : (الآفاق الموضوعية : الملامح المحمدية عند العباس بن مرداس) ويتمحور ثلاثة محاور ، يدور المحور الأول حول (ملامح الخيرية والتفرد) ، ويتحدث المحور الثاني عن (ملامح الشجاعة والبطولة في شخص الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ) ، وهذان المحوران يتطلبان محورًا ثالثًا يدور حول (براعة دمج الشاعر بين الحديث عن الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– وبين الفخر بقومه ، أو النزعة الأعرابية والقبلية في شعر العباس بن مرداس) .

أما الفصل الثاني – فيتحدث عن (الآفاق الفنية والجمالية) ، ويشتمل على محاور أربعة ، يدور المحور الأول حول (التشكيل بالصورة) ، ويتحدث المحور الثاني عن (الصياغة التعبيرية : الألفاظ والأساليب) ، أما المحور الثالث – فيدور حول (الموسيقى) ظاهرة وخفية ، ثم يأتي المحور الرابع والأخير بعنوان (ظواهر فنية) ويتحدث عن ظاهرة واحدة ، ألا وهي مقدمة القصيدة في شعر العباس ابن مرداس ، ثم تأتي الخاتمة محددة أهم نتائج هذه الدراسة .

والله أسأل أن ينفع به وأن يثيب عليه وأن تكون هذه السطور المتواضعة سببًا يلحقني بهؤلاء الصحابة الأبرار وبنبينا محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– في جنة عرضها السماوات والأرض .

د/ خالد طلعت الخولي

التمهيـــد

الشاعر : الحيـاة والسيــرة

هو العباس بن مرداس بن أبي عامر بن رفاعة بن حارثة بن عبد قيس بن رفاعة بن رفاعة بن الحارث بن بُهثة بن سُليم بن منصور بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار ، ويكنى أبا الهيثم ، ويقال (أبو الفضل) ، أحد فرسان الجاهلية وشعرائهم المذكورين [١].

وكان أبوه مرداس بن أبي عامر السلمي ، أحد سادة سُليم وفرسانهم، تزوج الخنساء الشاعرة ، فولدت له هُبيرة ، وجَزءًا ومعاوية [٢].

ويذكر ابن حبيب أن أم العباس هي إحدى المنجبات وهي (هند بنت سِنَّة بن سنان بن جارية بن عبد السلمية ، ولدت يزيد ذا الرمحين وهريمًا وسراقة وأنسا وهبيرة وعباسًا بني مرداس بن أبي عامر السلمي) [٣].

وعلى الرغم مما سبق فقد ذكر صاحب الأغاني أن الخنساء الشاعرة هي أمه حيث قال : " وأمه الخنساء الشاعرة بنت عمرو بن الشريد "[٤].

والرأي الذي يميل إليه البحث هو أن الخنساء زوج أبيه وليست أمه "

---

(١) ينظر في ترجمته :

(أ) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، جـ١٤، صـ٣٠٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ٢٠١٠ .

(ب) معجم الشعراء للمرزباني ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، صـ١٠٢ ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الذخائر (٩٣) الشركة الدولية للطباعة بالقاهرة ، ٢٠٠٣م .

(ج) جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي ، تحقيق عبد السلام هارون ، صـ٢٦٣ ، ط دار المعارف بمصر ، الطبعة الخامسة ١٩٨٢م .

(٢) جمهرة أنساب العرب صـ ٢٦٣ .

(٣) المحبر لأبي جعفر محمد بن حبيب (ت٢٤٥هـ) برواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري ، تحقيق إيلزه ليختن شتير صـ٤٧٣ ، الناشر دار الآفاق الجديد ، بيروت .

(٤) الأغاني ، جـ١٤ ، صـ ٣٠٢ .

إذ لو كانت هي أمه لوردت – على الأقل- بعض الإشارات إلى ذلك في شعر العباس وهو ما لم يحدث ، فديوان العباس بين أيدينا ، وقد جاء خلوًا من تلك الإشارة ، كما أنه لو كان الأمر كذلك لوردت الإشارة إليه في شعر الخنساء ، وهو ما لم يحدث أيضًا "[١].

وتحدثنا المصادر القديمة أن العباس بن مرداس حرّم على نفسه الخمر في الجاهلية حيث قال : " لا أشرب شرابًا أصبح سيد قومي وأمسي سفيههم"[٢]، ولعل في هذا الخبر ما يفيد صرامة الرأي الذي اتسم به العباس بن مرداس ، فضلاً عن كونه يعطي (دلالة واضحة على أنه كان قد قطع مرحلة التكوين المزاجي والنفسي في عصر الجاهلية ، بل وصل من العمر مرحلة أن يكون سيد قومه ، وأنه كان ذا نفس قد طويت على حب الاتزان والترفع والعفة)[٣].

والعباس بن مرداس شاعر مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام[٤].

وتكاد تتفق المصادر القديمة على قصة ***إسلام العباس بن مرداس*** ، مع التسليم بوجود اختلافات يسيرة بين الروايات ، فيحدثنا صاحب الأغاني عن العباس بن مرداس ويحكي قصة إسلامه بقوله : " كان لأبي صنم اسمه [ضِمار] ، فلما حضره الموت أوصاني به وبعبادته والقيام عليه ، فعمدت إلى ذلك الصنم فجعلته في بيتي ، وجعلت آتيه في كل يوم وليلة مرة ، فلما ظهر أمر رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- سمعت صوتًا في جوف الليل راعني ، فوثبت إلى ضِمار ، فإذا الصوت في جوفه يقول :

(١) جدلية القلق في شعر العباس بن مرداس الصحابي الشاعر يوم حنين ، د/ شودافي أحمد السيد علام ، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة (جامعة الأزهر) العدد ٣٠ ، جـ١ ، صـ ٥١٤ ، ٢٠١١م

(٢) المحبر صـ٢٣٧ .

(٣) جدلية القلق ، صـ ٥١٧ مرجع سابق .

(٤) الأغاني ، جـ٤ ، صـ ٣٠٢ .

قـل للقبائـل مـن سـليم كلهـا هلك الأنيس وعاش أهل المسجد
إن الـذي ورث النبوة والهدى بعد ابن مريم من قريش مهتدي
أودى الضمار وكان يعبد مرة قبـل الكتـاب إلـى النبـي محمـد

قال : فكتمت الناس ذلك ، فلم أحدِّث به أحدًا حتى انقضت غزوة الأحزاب ، فإذا برجل على حيالي بعمامة يقول : إن النور الذي وقع بين الاثنين وليلة الثلاثاء مع صاحب الناقة العضباء ، في ديار بني أخي العنقاء ، فأجابه طائف عن شماله لا أبصره فقال : بشر الجن وأجناسها ، أن وضعت المطي أحلاسها ، وكفت السماء أحراسها ، وأن يُغِصَّ السوقُ أنفاسها ، قال: فوثبت مذعورًا ، وعرفت أن محمدًا رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– مصطفى ، فركبت فرسي وسرتُ حتى انتهيت إليه فبايعته وأسلمت ، وانصرفت إلى ضِمار فأحرقته بالنار "[1].

وجملة [فركبت فرسي وسرت حتى انتهيت إليه فبايعته وأسلمت]جملة موجزة تحتاج إلى توضيح أكثر ، ولعل هذا ما جعل صاحب الأغاني يفسر ذلك الأمر برواية مكملة للرواية السابقة حيث يقول : " فخرج عباس حتى انتهى إلى إبله وهو يريد النبي– صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– فبات بها ، فلما أصبح دعا براعيه فأوصاه بإبله ، وقال له : من سألك عني فحدثه أني لحقت بيثرب، ولا أحسبني إن شاء الله تعالى إلا آتيا محمدًا ، وكأننَا معه ، فإني أرجو أن نكون برحمة من الله ونور ، فإن كان خيرًا لم أسبق إليه ، وإن كان شرًا نصرته لخئولته ، على أني قد رأيت الفضل البيّن وكرامة الدنيا والآخرة في طاعته ومؤازرته ، واتباعه ومبايعته، وإيثاره على جميع الأمور، فإن مناهج سبيله واضحة ، وأعلام ما يجيء به من الحق نيّرة ، ولا أرى

(١) الأغاني ، جـ١٤ ، صـ ٣٠٢ – ٣٠٤ .

أحدًا من العرب يَنْصِب له إلا أُعطي عليه الظفر والعلو ، وأراني قد أُلقيت عليّ محبة له ، وأنا باذل نفسي دون نفسه أريد بذلك رضا إله السماء والأرض ، قال : ثم سار نحو النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– ، وفي ذلك يقول عباس بن مرداس حين أحرق ضِمارًا ولحق بالنبي – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– :

لعمري إني يوم أجعل جاهدًا ضمارًا لرب العالمين مشاركا
وتركي رسول الله والأوس حوله أولئك أنصار له ، ما أولئكا ؟
كتارك سهل الأرض والحزن يبتغي ليسلك في غيب الأمور المسالكا
فآمنت بالله الذي أنا عبده وخالفتُ من أمسَى يريد الممالكا
ووجهت وجهي نحو مكة قاصدًا وتابعت بين الأخشبين المباركا
نبيٌ أتانا بعد عيسى بناطق من الحق فيه الفصل منه كذالكا "[1]

ويستطيع المتأمل في هذه الرواية – على فرض صحتها – أن يستنبط بعضًا من الأمور ، منها : أن العباس كان قوي الشكيمة لا يخافن في الله لومة لائم ؛ حيث قال لراعي إبله : " من سألك عني فحدثه أني لحقت بيثرب " متحديًا بها ، رافعًا شعاره بقوله : " لا أحسبني إن شاء الله تعالى إلا آتيا محمدًا ... " ومنها : أيضًا أن العباس فطن إلى أن رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– رحمة ونور بُعثا لهداية الكون [فإني أرجو أن نكون برحمه من الله ونور] ، ومنها : أن العباس حينما أراد الإسلام أراده عن اقتناع ورضى ، بعد فهم وتدبر ، ومن ثم كان الإصرار على مُبايعيته ونُصرته لرسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– [فإن كان خيرًا لم أُسبق إليه ، وإن كان شرًا نصرته لخئولته] وإن كنا نشتم من العبارة روح البداوة والعصبية

(١) الأغاني ، جـ١٤ ، صـ ٣٠٤ ، ٣٠٥ .

القبلية اللذين ظلا يلازمانه حتى بعد إسلامه .

يقول صاحب الأغاني : " فَقَدِمَ عباس على رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– المدينة ؛ حيث أراد المسير إلى مكة عام الفتح ، فواعد رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– (قُديدًا) ، وقال : ألقني أنت وقومك بقديد ، فلما نزل رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– قديدًا وهو ذاهب لقيه عباس في ألف من بني سُليم "[١] وفي هذا يقول موثقًا عدد قومه الذين كان يحاربون معه في حنين :

نصرنا رسول الله من غضب له بألف كَمِيٍّ لا تُعَدُّ حواسرُهُ [٢]

ولما علمت زوجته حبيبة بنت الضحاك بخبر إسلامه قَوّضتْ بيتها ، ولحقت بأهلها وقالت في ذلك شعرًا [٣].

أسلم العباس– إذن– قبل فتح مكة وحضر مع النبي– صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يوم الفتح وكان يرجع إلى بلاد قومه ولا يسكن مكة ولا المدينة[٤].

وتحدثنا المصادر القديمة أن العباس كان ***من المؤلفة قلوبهم*** ، وكان له فرس يقال له [العُبَيْد][٥]، ويروي صاحب الأغاني أن رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– قسم غنائم هوازن ، فأكثر العطايا لأهل مكة ، وأجزل القَسْم لهم ولغيرهم ممن خرج إلى حُنين ، حتى إنه كان يعطي الرجل الواحد مائة ناقة ، والآخر ألف شاة ، وزَوى كثيرًا من القَسْم عن أصحابه ،

(١) السابق ، جـ١٤ ، صـ ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

(٢) ديوان العباس بن مرداس ، تحقيق د/ يحيى الجبوري ، صـ ٨٣ ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ – ١٩٩١م .

(٣) ينظر : الأغاني جـ١٤ ، صـ ٣٠٤ ، ٣٠٦ .

(٤) ينظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ، تحقيق / أحمد محمد شاكر ، جـ٢ ، صـ ٧٤٨ ، ط دار المعارف، مصر ، ١٩٨٢ .

(٥) ينظر السابق والصفحة .

فأعطى الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن والعباس بن مرداس عطايا فضل فيها عُيينة والأقرع على العباس ، فجاءه العباس فأنشده :

وكانـــت نهابـــا تلافيتُهـــا بكـرِّي علـى المُهـر فـي الأجـرَعِ
وإيقـــاظي الحـــيّ أن يرقـــدوا إذا هجـــع القـــوم لـــم أهجـــع
فأصـــبح نهْبـــي ونَهْـــبُ العبيـــد بيـــن عيينـــة والأقـــرع
وقـد كنـت فـي الحـرب ذا تُـدْرإٍ فلـم أُعـط شـيئا ولـم أُمنـع
ومـا كـان حصـنٌ ولا حـابس يفوقـان مـرداسَ فـي مجمـع
ومـا كنـت دون امـرئ منهمـا ومـن تضـع اليـوم لا يُرفـعِ[1]

فبلغ قوله رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- فقال : اقطعوا عني لسانه، وأمر بأن يعطوه من الشاء والنعم ما يرضيه ليُمسك ، فأُعطى [2].

والناظر في شعر العباس السابق يجد أنه يزن الأمور بمقاييس جاهلية بدوية (فهو ما زال يعد الغنائم نهبًا أو نهابًا ، وما زال لا يرى إلا نفسه وفرسه وقومه الذين ائتمروا بأمره في المعركة ، كأن لم يكن هناك للإسلام جند غيره وقومه ، وما زال يرى أن الرجال يقاسون بحجم مكانة آبائهم في المجامع والمحافل ، وما زال يرى أنه أكرم من غيره إن لم يكن في مستواهم) [3] ، ومن ثم كان لابد من تصحيح مثل هذه المفاهيم التي لا تتساوى مع روح الإسلام، وكان لابد من رد بليغ وذكيٍّ في آن ؛ كي تتوقف مثل هذه الكلمات وتبعد عن طريق الدعوة ؛ حيث قال – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- : "اقطعوا عني لسانه " ، وفي رواية ابن أبي الإصبع : (يا علي ، اقطع عني لسانه، فقبض عليّ على يده وخرج به، فقال : أقاطع

(١) الأغاني جـ١٤ ، صـ ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، والشعر والشعراء ، جـ٢ ، صـ ٧٤٨ .
(٢) الأغاني جـ١٤ ، صـ ٣٠٨ ، والشعر والشعراء ، جـ٢ ، صـ ٧٤٨ .
(٣) جدلية القلق في شعر العباس بن مرداس ، صـ ٥٢٥ .

أنت لساني يا أبا الحسن ؟ فقال : إني لممض فيك ما أمر)[١] بهذا الأسلوب البليغ الذي يناسب مثل هذا الموقف ، ولذا علق ابن أبي الإصبع على قول عليّ [إني لممض فيك ما أمر] بقوله : " فهذه أحسن موارية سمعتها في كلام العرب "[٢] ؛ حيث لم يقصد الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– قطع اللسان قطعًا ماديًا حقيقيًا ، بل يريد إيقاف مثل تلك الأشعار بإعطائه ما يريد حتى يرضى ، (وبدهي أن كل ذلك قد كان في بداية عهده بالإسلام ، وبدهي أيضًا أنه تخلص في سلوكياته شيئًا فشيئًا من كل شائبة ، حتى صار من الذين تعمق الإسلام أرواحهم ، فصدروا فيه عن فهم كامل لما يدعو إليه كدين من أخلاقيات وسلوك [٣].

ولعل هذا ما جعل رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– يبر العباس ويكرمه ، يقول د/ يحيى الجبوري : " وقد كان رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– يبرُّ العباس ويكرمه ، ويختلف الرواة فيما أعطاه الرسول الكريم ، فمن قائل : إن الرسول كساه حلة كما كسا كعب بن زهير بردًا ، ومن قائل : إن الرسول أعطاه ثمانين أوقية فضة ، وذلك حين قال : "اقطعوا عني لسانه " [٤].

بقيَ أن أشير إلى أن العباس كان يمتلك موهبة شعرية فذة جعلت الأصمعي يضمه في طائفة الشعراء الفرسان ، حيث سُئِل عن خفاف بن ندبة وعنترة بن شداد والزبرقان بن بدر فقال : هؤلاء أشعر الفرسان ، ومثلهم

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثروبيان إعجاز القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري، تحقيق د/حفني محمد شرف ، جـ٢، صـ ٢٥١، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ،مصر،١٤١٦هـ – ١٩٩٥م .

(٢) السابق والصفحة .

(٣) جدلية القلق في شعر العباس بن مرداس ، صـ ٥٢٦ .

(٤) ديوان العباس بن مرداس ، صـ ٢٤ ، ٢٥ .

عباس بن مرداس السلمي [١] ، ويقول صاحب الأغاني في ثنايا حديثه عن العباس وإخوته : " وعباس أشعرهم وأشهرهم وأفرسهم وأسودهم " [٢].

هذا ، ولم يقف محقق ديوانه – في وفاته – على سنة بعينها ؛ حيث لم يُذْكَر شيء في شعره أو في أخباره يدل على ذلك ، ولم يذكر أحد ممن ترجم له سنة بعينها ، وإن كان ابن حجر يشير مترددًا إلى أنه مات في خلافة عثمان بن عفان، ويرجح الزركلي – في الأعلام- أنه توفى سنة ١٨هـ [٣].

رحم الله الصحابي الشاعر المجاهد العباس بن مرداس ، ورضي الله عنه، فقد كان – كما يقول الدكتور / يحيى الجبوري – (صورة صادقة من الأعرابي الذي بهره الإسلام فآمن به واطمأن إليه قلبه ، إلا أنه آثر الماضي العريق المتمكن من النفوس من مثل الحمية الجاهلية والعصبية الأعرابية لما نزل في حنايا الفؤاد ، فكم تشرئب بين حين وآخر كلما وجدت متنفسًا لذلك، إلا أن توجيه النبي الكريم – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- وتربية أصحابه الفضلاء استطاعت أن تحد من غلو تلك العصبية ، فما مضى النصف الأول من القرن الأول إلا وكان الأعراب من خيار المسلمين الذين زهدوا في الحياة واستجابوا لداعي الجهاد في سبيل الله ، فكانوا القادة الفاتحين ، والمحاربين الأشداء ، والقضاة الواعظين الذين نشروا مبادئ الإسلام ، وعلموا الشعوب وهدوها نحو الخير والبر والرحمة والحب والهداية للإيمان)[٤].

---

(١) ينظر الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء للمرزباني ، تحقيق / محمد حسين شمس الدين صـ١٠١، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .

(٢) الأغاني ، جـ١٤ ، صـ ٣١٨ .

(٣) ديوان العباس بن مرداس ، صـ ٢٥ .

(٤) من شعراء رسول الله – صلى الله عليه وسلم- العباس بن مرداس ، د/ يحيى الجبوري ، مجلة الأقلام العراقية ، السنة الأولى ، العدد الثاني صـ ١٥٧، تشرين الأول / جمادى الأولى، ١٩٦٤م.

الفصل الأول

الآفـاق الموضوعيـــة

الملامح المحمدية عند العباس بن مرداس

سجل العباس بن مرداس في شعره – بكل فخر– أحداثًا إسلامية شتى، لعل أهمها مشاركته وقومه في انتصار المسلمين في غزوة حنين ، ، بيد أن ما يهمنا في هذا البحث هو كيف كانت ترتسم صورة النبي محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– في مخيلة العباس بن مرداس الشاعر بعد إسلامه ، من هذا المنطلق وجدنا العباس يرسم للنبي محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– صورًا واقعية عديدة ورائعة في آن ، منها :

(أ) **ملامح الخيرية والتفرد** ، حيث كان العباس بن مرداس يرى أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– خير من ركب المطايا ، وخير من مشى فوق التراب ، فيقول :

يـا أيهـا الرجـل الـذي تَهْـوِي بـه وجناءُ مُجْمَرةُ المناسم عرمـسُ
إمـا أتيـت علـى النبـي فقـل لـه حقًا عليك إذا اطمأنَّ المجلسُ
يا خير من ركب المطيّ ومن مشى فوق التراب إذا تُعَدُّ الأنفسُ[1]

ومن ثم فهو – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– خير خلق الله ، استمع إليه يقول مؤكدًا هذا المعنى :

رأيتـك يـا خيـر البريـة كلهـا توسطت في القربى من المجد مالكا
سبقتهم بالمجد والجود والعلا وبالغايـة القصـوى تفوت السنابكا[2]

(١) الديوان صـ٨٧ ، ٨٨ . تهوي بـه : تسـرع بـه ، الوجنـاء : الناقة الضـخمة أو هي الغليظـة الوجنـات، المجمرة : المجتمعة المنضمة وذلك أقوى لها ، المناسم : جمع منسم وهو مقدم طرف خف البعير ، عرمس : شديدة .

(٢) الديوان ، صـ ١٢١ .

ويكرر هذا الوصف في مكان آخر من الديوان إذ يقول :

رأيتك يا خير البرية كلها نشـرت كتابا جاء بالحق مُعْلِما[١]

ومن ملامح الخيرية – أيضًا– أن الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– يتفرد بصفات لم ولن تجتمع في شخص سواه ، فهو – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– نور ينجلي به الظلام الحالك كقوله :

بـك أسـلم الطـاغوت واتُبـع الهـدى ويـك انجلـى عنـا الظـلامُ الحنـدسُ[٢]

ومثلـه قولـه :

ونـورت بالبرهـان أمـرًا مُدَمَّسـا وأطفــأت بالبرهــان نــارًا مُضــرَّما [٣]

ولكـن ديــن الله ديــن محمـد رضــينا بــه فيــه الهــدى والشــرائع

أقـام بـه بعـد الضـلالة أمرنـا ولــيس لأمــر حمــه الله دافــعُ [٤]

وبمولده – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– أشرقت الأرض وضاءت بنوره الأفق :

وأنت لـما ولدت أشرقت الـ أرض وضاءت بنـورك الأفق[٥]

٣– ولا يلبث العباس أن يصف النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– بصفات عدة تحمل عدة ملامح أخرى من ملامح الخيرية التي اتكأ عليها في وصفه لنبي الإسلام ومن ذلك أنه – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– أمين ، أول شافع ، آخر مبعوث السماء فيقول :

---

(١) السابق ، صـ ١٤٥ .

(٢) السابق صـ ٨٨ .

(٣) السابق صـ ١٤٥ .

(٤) السابق صـ ١٠٧ .

(٥) السابق صـ ١١٩ ، ويرى بعض الدارسين أن هذا البيت والذي بعده في الديوان منسوبان إلى العباس بن عبد المطلب ، وليس للعباس بن مرداس (ينظر : وقفات نقدية مع تحقيق ديوان العباس بن مرداس السلمي د/ محمود أبو الخير صـ٨٠ ، وما بعدها ، المجلة الأردنية في اللغة العربية وأدابها ، مج ٥ ، ربيع الثاني ١٤٣٠هـ – نيسان ٢٠٠٩م ، وينظر : محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– في قصيدة العباس بن عبد المطلب دراسة تحليلية نقدية د/ أحمد محمد علي حنطور ، صـ١٦– ٢٠ ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .

أمينًـا علـى الفرقـان أول شـافع وآخـر مبعـوث يجيـب الملائكـا [١]

كما أنه خاتم النبيين ، مرسل بالحق :

يـا خـاتم النُّبـآء إنـك مرسـل بـالحق كـل هـدى السـبيل هـداكا[٢]

وهو – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– المصطفى الذي اصطفاه ربه من خير بني البشر :

فأنت المصفى من قريش إذا سمت غَلا صِمُها تبغي القُرومَ الفواركا[٣]

***

٤– وهو المهدي الذي في دينه الهدى والشرائع :

فجسنا مع المهديّ مكة عنوة بأسـيافنا والنقـع كـاب وسـاطع [٤]

ولكـن ديـن الله ديـن محمـد رضينا بـه فيـه الهـدى والشـرائع [٥]

وهو – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– الهادي :

وأنّا مع الهادي النبي محمد وفينا ولم يستوفها معشـر ألفا [٦]

وثمة ملاحظة على مدح العباس بن مرداس للنبي محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– وهي أنه لم يغال في مدحه ، بل إنه مدح النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– بصفات ذكرها القرآن الكريم ، ومن ثم فهو يقرر أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– عبد ، رسول مثل موسى :

---

(١) الديوان صـ ١٢٠ .

(٢) الديوان صـ ١٢٢ .

(٣) السابق صـ١٢١، الغلاصم : أصل اللسان أو الجماعة أو السادة ، القروم : جم قرْم وهو السيد ، الفوارك : جمع فارك من فرك الرجل امرأته فركًا : أبغضها ، أي أنهم ليسوا ممن تلهيهم النساء عن عظائم الأمور .

(٤) السابق صـ ١٠٨ ، كاب : مرتفع .

(٥) السابق صـ ١٠٩ .

(٦) السابق صـ ١١٥ .

بـــأن محمـــدًا عبـــدٌ رســـول لـــــرب لا يضـــــل ولا يجـــــور
وجـــدناه نبيـــا مثـــل موســـى فكـــل فتـــى يخـــايره مخيـــرُ (١)

وقوله (نبيًا مثل موسى) يعد تأكيدًا على نبوته ، ودعوة لليهود الذين لم يؤمنوا به ، بأن دعوته حق ، ونبوته صدق مثل نبوة موسى .

ويستدرك العباس على من يظن أنه ذكر النبي موسى ، ولم يذكر النبي عيسى – عليهما السلام – مع أنه مبعوث بعده ، فيذكر أن رسولنا الكريم محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– أتى بعد عيسى تصديقًا لقوله تعالى على لسان عيسى : « وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ »(٢).

فيقول :

نبـــيٌ أتانـــا بعـــد عيســـى بنـــاطق من الحق فيـه الفصل منـه كذلكا(٣)

٤– وشرف الصحبة برسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– لا يدانيه شرف ، والاستمساك بحبله فيه كل الخير :

لا وفـد كالوفـد الألـى عقـدوا لنـا ســببًا بحبــل محمــد لا يقطــع(٤)

وحين يؤكد الشاعر على هذا الملمح – أعني ملمح الخيرية – وهو الشاعر الفارس ذو العصبية القبلية المدافع عن قبيلته ، المحنك الذي يزن الأمور والرجال بميزان دقيق ، فضلاً عن كونه من أشراف بني سليم المعدودين وسيدهم ، فهذا يدل – بلا أدنى شك – على تمكن حب النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– من قلب الشاعر ، بل تمكن الإسلام من قلبه تمكنًا جعله يرى في نبي الإسلام محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– مدى تفرده بالخيرية على البرية أجمع ، مجدًا وجودًا وسؤددًا .

---

(١) السابق ، صـ ٦٨ .
(٢) سورة الصف ، آية رقم ٦ .
(٣) الديوان ، صـ ١٢٠ .
(٤) السابق ، صـ ٩٨ .

(ب) **المحور الثاني:ملامح الشجاعة والبطولة في شخص الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ–**

من المُسَلَّم به أن حياة النبي محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– تعد مثلاً مجلجل الأصداء في الشجاعة القولية والفعلية ، وسيرته المباركة خير دليل ، فكم دافع عن الحق أمام الأعداء دون تردد أو خوف ، ضاربًا المثل الأعلى في كل ميادين الشجاعة ، حتى إن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – قال : " كنا إذا احمرّ البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– فما يكون منا أحد أدنى من القوم منه "(١)

وفي يوم حنين ضرب رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– أروع الأمثلة في الشجاعة في مواطن الجهاد ، لإعلاء كلمة الله حين فر الجيش من ساحة القتال ، فعن أبي إسحاق قال : " سمعت البراء وسأله رجل : أكنتم فررتم يا أبا عمارة يوم حنين ؟! قال : لا والله ما ولّى رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– ولكنه خرج شبان أصحابه وأخفاؤهم حُسّرًا ليس بسلاح ، فأتوا قومًا رماة جمع هوازن وبني نصر ، ما يكاد يسقط لهم سهم ، فرشقوهم رشقًا ما يكادون يخطئون ، فأقبلوا هنالك إلى النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– وهو على بغلته البيضاء ، وابن عمه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يقود به ، فنزل واستنصر ، ثم قال : " أن النبيّ لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب " ، ثم صف أصحابه "(٢).

وقد سطر شعراء الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– بعضًا من هذه المواقف التي لا يمكن حصرها والتي تبين شخصية الرسول – صَلَّى اللهُ

(١) مسند أحمد بن حنبل ، جـ١ ، صـ ١٥٦ ، الناشر / مؤسسة قرطبة ، القاهرة .

(٢) صحيح البخاري ، تحقيق د/ مصطفى ديب البغا ، جـ٣ ، صـ ١٠٧١ ، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

عَلَيهِ وَسَلَّمَ- ذي الشجاعة النادرة ، فهذا حسان بن ثابت يصور الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- وهو ماض في مقدمة الجيش غير رعديد ، فيقول :

مستشعري حلق الماذي يقدمهم جلد النحيزة ماض غير رعديد
ماض على الهول ركاب لما قطعوا إذا الكُماة تحاموا في الصناديد[١]

ويقول :

وذكرت منا ماجدًا ذا همة سمحَ الخلائق ما جدَ الإقدام
أعني النبي أخا التكرم والندى وأبرّ من يُولي على الأقسام [٢]

ويقول مالك بن عوف بن سعد بن يربوع النصري، مصورًا مدى شجاعته وبطولته - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ :

فما حملت من ناقةٍ فوق رحلها أشد على أعدائه من محمد[٣]

***

١- وشاعرنا العباس بن مرداس ليس بدعًا من الشعراء ، فقد أعجب بشخصية النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- وشجاعته ، ذلك أن الشجاعة تعد من الصفات الحميدة التي طالما تغنى بها العرب قديما ، وعدوها من مظاهر القوة التي ينبغي أن يتحلى بها كبيرهم ، فها هو ذا يفتخر بشجاعة النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وجيشه فيقول :

فجسنا مع المهديّ مكة عنوة بأسيافنا والنقع كاب وساطع
علانية والخيل يغْشى متونها حميمٌ وآنٍ من دَمِ الجوفِ ناقعُ[٤]

(١) ديوان حسان بن ثابت بشرح البرقوقي ، صـ٨٧ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .
(٢) السابق صـ ٢٧٤ .
(٣) السيرة النبوية لابن هشام تحقيق / طه عبد الرؤوف سعد ، جـ٥ ، صـ ٣٠٠ ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان .
(٤) ديوان العباس بن مرداس ، صـ ١٠٨ .

وحينما توجه النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– إلى لقاء هوازن بعد فتح مكة وجه العباس رسالة تخويف وتحذيرإليهم ، موضحًا فيها قدرة النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– وجيشه الذي ترتجف منه الأرض قاطبة ، فهو جيش له أركان في كل مكان من البسيطة ، فيقول :

أبلـغ هـوازن أعلاهـا وأسـفلها منّـي رسـالة نصـح فيـه تبيـانُ
أنّـى أظـن رسـول الله صـابحكم جيشا لـه فـي فضاء الأرض أركانُ
فـيهم أخـوكم سـليم غيـر تـاركم والمسـلمون عبـاد الله غسـان
وفـي عضـادته اليمنـى بنـو أسـد والأجربـان بنـو عَـبْس وذُبيـانُ
تكـاد ترجُـفُ منـه الأرض رهبتَـهُ وفـي مُقَدِّمـه أوسٌ وعثمـانُ[1]

ويفخر بكونه شهد وقومه حُنينا مع النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ :

شـهدنَ مـع النبـي مسـوّمات حُنينـا وهـي داميـة الحـوامي [2]

***

(جـ) المحور الثالث : براعة دمج الشاعر بين الحديث عن الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– والفخر بقومه ، أو النزعة الأعرابية القبلية في شعر العباس بن مرداس .

الذي وضح لنا من سيرة الشاعر أنه نشأ نشأة بدوية خالصة (فهو مرتبط بقبيلته ، حريص على مكانته منها ، لا يرضى بالحياة بين عشيرته ولا فوق أرض سليم بديلاً ، حتى حين تيسر له أن يجد متسعًا من الحياة خارج حدود باديته لم يقبل أن يستبدل بها أي موطن آخر) [3].

(١) ديوان العباس بن مرداس ، صـ ١٥٥ .
(٢) السابق ، صـ ١٨٠ ، وقيل إن البيت منسوب لغير العباس بن مرداس .
ينظر الديوان صـ ١٨٠ ، هامش .
(٣) العباس بن مرداس ، د/ إبراهيم عوضين صـ ٣٤ ، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة ، العدد الرابع ، بدون تاريخ .

يؤكد ذلك ابن قتيبة بقوله :

" وكان يرجع إلى بلاد قومه ولا يسكن مكة ولا المدينة " (١).

وقد أثر هذا كله في شعره ، فالناظر في شعر العباس (يلاحظ أثر هذه البيئة البدوية واضحًا كل الوضوح ، يلاحظ ذلك في فنونه الشعرية ، ويلاحظه في أفكاره ، ويلاحظه في معانيه وأخيلته ، ويلاحظه في أسلوبه ومنهجه الفني في عرض أفكاره ومعانيه ، ويلاحظه في معجم ألفاظه والأعلام التي ترد فيه) (٢).

ومن ثم غلب الفخر والهجاء على جل شعره قبل الإسلام ، أما بعد إسلامه وتمكن الإسلام من قلبه فقد اتجه بفخره بقومه اتجاهًا آخر ، حيث تجد شعره (يحوي صفحات مشرقة لذكر الأمجاد الإسلامية بالبطولات التي ظهرت وهي تحمل ألوية الإسلام ، وفيها لواء قومه الذين استجابوا لله ، فكانوا ركنا هامًا في جيش الإسلام ... فأنت تجد في شعره الذي قاله في غزوة حنين ، ومع فرحته الغامرة بالدخول في الدين الجديد ، تجد مزجًا للكيان الإسلامي بالكيان القبلي في الفخر ، إذ يكثر فيه من إعلان أن قومه نصروا الله ورسوله ؛ حين أمدوا جيش المسلمين بألف فارس ، قد أبلوا بلاءً حسنا، هو حقًا زهو المزدهي ، ومفخرة المفتخر ، ومع هذه الاستجابة النفسية لبقية الشعور القبلي في نفسه تجده يقول ما يعلن عن تأثره الكامل بالإسلام) (٣).

١- فمن أشعاره التي قالها في فتح مكة مازجًا بين الحديث عن بطولة النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– وبين الحديث عن قومه :

(١) الشعر والشعراء ، جـ٢ ، صـ ٧٤٨ ، مرجع سابق .

(٢) العباس بن مرداس ، د/ إبراهيم عوضين ، صـ ٣٥ .

(٣) جدلية القلق في شعر العباس بن مرداس صـ ٥٣١ .

منا بمكة يوم فتح محمد ... ألف تسيل به البطاح مسوّم
نصروا الرسول وشاهدوا أيامه ... وشعارهم يوم اللقاء مقدم
في منْزل ثبتت به أقدامهم ... ضَنْكٍ كأن الهام فيه الحَنْتمُ
جرت سنابكها بنجد قبلها ... حتى استقاد لها الحجاز الأدهم
الله مكنه له وأذلّهُ ... حكم السيوف لنا وجد مِزْحَم[1].

ويلاحظ أنه لم يقل فتح مكة ، بل (فتح محمد) وهذه إشارة من شاعر عربي مسلم تنبئ بأنه يمدح الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– عن عقيدة راسخة ، وفهم ثاقب بأنه مبعوث من عند الله ، وأنه لولا محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– ما فتحت مكة ، ومن ثم فهو فتح محمد الذي هو فتح من الله ،ولذا كانت النتيجة (الله مكنه له) بتأييده ونصره وبأسباب هذا النصر ،التي منها وقوف قومه (بني سليم) بجانبه يؤيدونه ويؤازرونه .

٢– ومن أشعاره التي قالها في يوم حنين مازجًا بين فخره بقومه وبين الحديث عن رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– مادحًا ومفتخرًا ، قوله معرضًا ببني ثقيف وأن قتلهم ألذ من الشراب :

لقد أحببتُ ما لقيت ثقيف ... بجنب الشِّعب أمسِ من العذاب
همُ رأس العدو من اهل نجد ... فقتلهم ألذ من الشراب
هزمنا الجمع جمع بني قَسي ... وحكت بركها ببني رِئاب
وصِرمًا من هلال غادرتهم ... بأوطاس تعفّر بالتراب
ولو لاقين جمع بني كلاب ... لقام نساؤهم والنقع كابي
ركضنا الخيل فيهم بين بُسٍّ ... إلى الأوراد تَنْحِطُ بالنهاب
بذي لجَبٍ رسول الله فيهم ... كتيبته تعرض للضراب [2]

---

(١) ديوان العباس بن مرداس ، صـ١٥٢.

(٢) السابق ص٤٨ ، بني قيس : ثقيف ، الصرم : الفرقة من الناس ليسوا بالكثير ، أوطاس : موضع ، النقع : الغبار ، كابي : مرتفع ضخم . بسّ : موضع ، تنحط : تخرج = أنفاسها عالية ، اللجب : الجيش الكثير الأصوات .

وقوله [رسول الله فيهم] يوحي بثبات الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– إذ كان في وسطهم ، كما يوحي بمدى شجاعته وبطولته كقائد لم يبرح وسط الميدان، على الرغم من تعرضه هو ومن معه للضرب والطعن ، حين كان العدو على قدر عالٍ من الاستعداد للقتال ، ومع ذلك لم يبرح رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– مكانه ، وظل ثابتًا حتى جمّع الجيش مرة أخرى وفيهم الشاعر وقومه ، حتى كان النصر.

٢– ومثله قومه يوم حنين – كذلك– ذاكرًا بلاء قومه بني سليم وإسهامهم في نصرة المولى – سبحانه وتعالى– واتباعهم الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ :

دع ما تقدم من عهد الشباب فقد ولّى الشبابُ وزار الشيب والزَّعَرُ
واذكر بلاء سليم في مواطنها وفي سليم لأهل الفخر مفتخر
همُ بنو الحرب والموت الذعاف إذا لاقى الكتائب منهم قادةٌ صُبُرُ
قوم هم نصروا الرحمن واتبعوا دين الرسول وأمر الناس مشتجر
....
ونحن يوم حنين كان مشهدنا للدين عزًا وعند الله مدخرُ[١]

والبيتان الأخيران يدلان – بما لا يدع مجالاً للشك – على تمكن الإسلام من نفس شاعرنا ،تمكنا أنساه النعرة القبلية والفخر بالأمجاد والأحساب ، وأبدله فخرًا من نوع آخر هو خير وأبقى ، إنه الفخر بنصر دين الله ، لتكون كلمة الله هي العليا (قوم هم نصروا الرحمن) ، ومن ثم كان مشهد بني سليم – قوم الشاعر – يوم حنين – يدعو إلى الفخر والاعتزاز بدين الله الذي يرجون ثوابه (وعند الله مدخر)، إن هذه الجملة الأخيرة مرحلة فارقة بين ما كان عليه العباس قبل إسلامه ، وبين ما صار إليه بعد أن تمكن الإسلام من قلبه ، وصار لا يبغي سوى رضا الله

(١) السابق ، صـ ٧٣ .

والفوز بالجنة .

٣- وتحكي كتب التاريخ والسير أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– عقد لواءً خاصًا لبني سليم يوم فتح مكة ، وظل العباس يفخر بهذا اللواء ، وأنهم كانوا يوم حنين ميمنة لرسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– وبطانة له، ذلك أنهم كانوا أكثر عددًا ، فقد كانوا ألف جندي شجاع ساتر نفسه بالدرع والبيضة ، فيقول :

نصرنا رسول الله من غضب له بألف كَمِيّ لا تُعَدُّ حواسرهُ
حملنا له في عامل الرمح رايةً يذودُ بها في حومة الموت ناصرهُ
ونحن خضبناها دمًا فهو لونها غداة حنين يوم صفوانَ شاجره
وكنا على الإسلام ميمنة له وكان لنا عَقدُ اللواء وشاهره
وكنا له دون الجنود بطانة يشاورنا في أمره ونشاوره[١]

ولا يزال يصر على أنه وقومه كانوا ضمن من نصر رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– يوم حنين ، وأنه وقومه كانوا ممن ثبتوا مع رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– يومئذ ، ولازموه ملازمة تامة :

نصرنا رسول الله في الحرب سبعة وقد فر من فر عنه فأقشعُ[٢]

٤- ويكرر كثيرًا العدد[ألف] ويفخر به ؛ حيث يمثل له العزة والغلبة والفخار ؛ فيروى أن العباس بن مرداس أتى رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– بمكان يسمى (قديد) بألف من بني سليم[٣] ، ومافتئ يذكر العدد (ألف) مفتخرًا به في أكثر من موضع من ديوانه ، كقوله :

القائد المائة التي وفىّ بها تسع المئين فتم ألف أقرعُ
فهناك إذ نُصِر النبي بألفنا عقدَ النبيُّ لنا لواءً يلمع

(١) السابق ، صـ ٨٣ .
(٢) السابق ، صـ ١٠٢ .
(٣) ينظر الأغاني جـ١٤ ، صـ ٣٠٥ ، وما بعدها .

فزنـــا برايتـــه وأورث عقـــده مجـد الحيـاة وسـؤددًا لا يُنـزع[١]

ويقول :

نصـرنا رسول الله من غضب له بألف كميّ لا تعد حواسره [٢]

ويقول :

فجئنـا بـألف مـن سـليم علـيهم لبـوسٌ لهـم مـن نسـج داود رائـع
نبايعـــه بالأخشـــبين وإنمـــا يـد الله بـين الأخشـبين نبـايع [٣]

ويقول :

منـا بمكـة يـوم فـتح محمـد ألـف تسـيل بـه البطـاح مُسَوَّمُ [٤]

ولعل في ذلك ما يشي بالتباهي بكثرة العدد ، فضلاً عن القوة التي تؤدي إلى تحقيق النصر .

٥- ومع فخر الشاعر بقومه أمام الرسول محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ – إلا أنه لم ينس قط أن يلتزم الأدب والتواضع الجم أمام شخصه – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– كقوله :

أمـام رسـول الله يخفـق فوقنـا لـواءٌ كخـدروف السـحابة لامـع
عشية ضحاك بن سفيان معتصٍ بسيف رسول الله والموت كـانع[٥]

وهو تابع لا متبوع ، بعد أن كان في جاهليته متبوعًا لا تابعًا :

فـإن تبتغـي الكفـار غيـر ملومـة فـإني وزيـر للنبـي وتـابع [٦]

وفي هذا البيت دلالة على أنه باع نفسه ابتغاء مرضاة الله سبحانه ،

---

(١) ديوان العباس بن مرداس ، صـ ٩٩ .
(٢) السابق ، صـ ٨٣ .
(٣) السابق ، صـ ١٠٨ .
(٤) السابق ، صـ ١٣٩ .
(٥) السابق ، صـ ١٠٨ ، معتص : ضارب ، كانع : دانٍ .
(٦) السابق ، صـ ١٠٧ .

وحبًا لرسوله – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– .

وشخص رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– لا يقارن به أحد ، فكل فتى يخايره – أي يقول له أنا خير منك – مخير – أي : مغلوب في الخير – .

وجـــدناه نبينـــا مثـــل موســـى فكـــل فتـــى يخـــايره مخيـــر (١)

ولعل فيما سبق ما يدل دلالة أكيدة على تمكن حب محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– من قلب شاعرنا حبًا بلغ به الغاية الكبرى ، حتى رأيناه يدعو لرسوله الله صلى بالنصر والتأييد .

جـزى الله خيـرًا مـن نبـيٍ محمـدًا وأيـــده بالنصـــر والله ناصـــرُهُ (٢)

(١) السابق ، صـ ٦٨ .

(٢) السابق ، صـ ٨٤ .

الفصل الثاني

الآفـاق الفنيـــة والجمالـية

المحور الأول : التشكيل بالصـورة

الصورة الفنية هي في أبسط تعريف لها -كما عرفها الدكتور عبد القادر الرباعي- (أية هيئة تثيرها الكلمات الشعرية بالذهن ، شريطة أن تكون هذه الهيئة معبرة وموحية في آن) (١).

وهذا التعريف يتعاضد مع ما قرره الشاعر والناقد الإنجليزي (سيسل دي لويس) الذي عرف الصورة بأنها (رسم قوامه الكلمات المشحونة بالإحساس والعاطفة) (٢).

ويرى أن قوة الصورة تكمن في إثارة عواطفنا واستجابتنا للعاطفة الشعرية(٣).

وتتعدد مصادر الصورة في شعر الشاعر العباس بن مرداس ، بيد أن البحث هنا يهتم فقط بالمصادر الفاعلة في شعره ، وخاصة بعد إسلامه، ولعل من أهم مصادر الصورة الفاعلة لديه في هذا الجانب : القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، ثم المورث البيئي ، والأدبي ، والثقافي ، ثم حرص الشاعر على انتقاء ألفاظ معجمه الشعري .

أ- ولعل من النماذج الشعرية التي تدل على مشاركة القرآن الكريم والحديث الشريف في صنع الصورة الفنية لدى الشاعر قوله في يوم حنين :

---

(١) الصورة الفنية في النقد الشعري ، د/ عبد القادر الرباعي ، صـ ٨٥ ، ط دار العلوم ، السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤م .

(٢) الصورة الشعرية / سيسل دي لويس ، ترجمة د/ أحمد نصيف الجنايني وآخرين صـ٢٣ ، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر ، الكويت ، ١٩٨٢م .

(٣) السابق صـ ٤٤ .

فـإني والسـوابح يـوم جمــعٍ وما يتلو الرسول من الكتـاب
هزمنا الجمع جمع بني قسـي وحكت بركها ببنـي رئـاب[١]

يلاحظ أن الشطر الثاني من البيت الأول مستمد من قوله تعالى : « هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ »[٢].

وقوله (هزمنا الجمع) في البيت الثاني مقتبس من قوله تعالى : « سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ »[٣].

وحين يقول الشاعر عن غزوة حنين أيضًا :

ويـوم حنـين حـين سـارت هـوازنٌ إلينـا وضـاقت بـالنفوس الأضـالع[٤]

نجد أن فيه اقتباسا من قوله تعالى : « لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ »[٥].

وكأن هذا الاقتباس جاء توثيقًا لأمرين : **الأول** توثيق الموقف باستخدام كلمات أتى بها القرآن ، **والثاني** : توثيق تأثر الشاعر بالقرآن تأثرًا ملك عليه أقطاره ، وهو – أعني الشاعر– البليغ الفصيح الذي يفهم جيدًا كيف يكون للكلمة وقع في النفوس ، وأثر في الأذهان ، مما حدا به أن يستبدل الذي هو خير– كلمات القرآن الكريم– بالذي هو أدنى – كلماته المنظومة– فضلا عما في هذا التوثيق الأخير من رد واضح على الذين يزعمون أن قصائده الإسلامية قلّت فيها المعاني الإسلامية ، أو أن الشاعر

(١) الديوان صـ ٤٧ ، ٤٨ .
(٢) سورة الجمعة ، الآية ٢ .
(٣) سورة القمر ، الآية ٤٥ .
(٤) الديوان ، صـ ١٠٨ .
(٥) سورة التوبة ، الآية ٢٥ .

كان مهمومًا ومشغولاً بالفخر بقبيلته فحسب ، بل إنه ما لجأ إلى الحديث عن قبيلته إلا لأن الحديث عن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– وعن بعض المعاني الإسلامية سيزين ويرفع من شأن قبيلته ، ومن ثم كان الحديث عن فخره بقبيلته مع الحديث عن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– متبوعًا وليس بتابع .

فهو يقول مؤكدًا على أنه وقومه كانوا في ضلال مبين :

ولكن دين الله دين محمد رضينا به فيه الهدى والشرائع

أقام به بعد الضلالة أمرنا وليس لأمر حمه الله دافع (١)

والشطرالأخير يعد اقتباساً من قوله تعالى : « إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ »(٢)، وفي قوله :

رأيتك يا خير البرية كلها نشرت كتاباً جاء بالحق مُعْلما

ونورت بالبرهان أمرًا مُدْمسا وأطفأت بالبرهان نارًا مُضَرَّما(٣).

اقتباس من قوله تعالى : « قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ »(٤).

وفي قوله في غزوة حنين :

حتى تولوا وقتلاهم كأنهم نخل بظاهرة البطحاء منقعر (٥)

(١) الديوان ، صـ ١٠٩ .
(٢) يس ، الآية ٨٢ .
(٣) الديوان صـ ١٤٥.
(٤) سورة المائدة ، الآيتان ١٥ ، ١٦ .
(٥) الديوان ، صـ ٧٣ .

اقتباس من قوله تعالى :« تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ »[١].

وقوله :

رضا الله ننوي لا رضا الناس نبتغي ولله ما يبدو جميعًا وما يخفى [٢]

فيه اقتباس من قوله تعالى : « قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ »[٣].

وقوله عن بني سليم ودورهم في غزوة حنين :

بفتيان صدق من سليم أعزةٍ أطاعوا فما يعصون من أمره حرفا[٤]

يعد اقتباسًا من قوله تعالى : « مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا »[٥].

وفي هذا إشارة – كما نقول ويقول محقق الديوان – إلى صدق إسلام بني سليم[٦].

***

وحين يقول الشاعر عن الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ :

إن الإله بني عليك محبة في خلقه ومحمدًا سماكا[٧]

(١) سورة القمر ، الآية ٢٠ .
(٢) الديوان ، صـ ١١٦ .
(٣) سورة آلعمران ، الآية ٢٩ .
(٤) الديوان ، صـ ١١٥ .
(٥) سورة الأحزاب ، الآية ٢٣ .
(٦) الديوان صـ ١١٥ ، هامش (٧) .
(٧) السابق ، صـ ١٢٢ .

أو يقول :

فـديتُ بنفسـه نفسـي ومالـي ولا آلـوهُ إلا مـا يطيـق [١]

نجد أن فيما سبق صورة مستمدة من تطبيق هدي الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– حين يقول :

" لا يـؤمن أحـدكم حتـى أكـون أحـب إليـه مـن والـده وولـده والنـاس أجمعين"[٢] ، وأيضًـا تطبيـق لهـدى الرسـول – صَلَّى اللهُ عَلَيـهِ وَسَلَّمَ– فـي حديث عبد الله بن هشام أن عمر بن الخطاب قال للنبي – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– " لأنت يا رسول الله أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي ، فقال : لا والذي نفسي بيده ، حتى أكون أحب إليك من نفسك ، فقال عمر : فإنك الآن والله أحـب إلـيَّ مـن نفسـي فقال : الآن يـا عمـر "[٣] ، ولعل فـي هذا الاقتباس ما يشير إلى شدة حب العباس بن مرداس لرسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ – .

وفي قول العباس :

فـإن تَتْبَـعِ الكفـار أمّ مؤمَّـل فقد زَوَّدَتْ قلبي على نأيها شغفا[٤]

نجد أن كلمة [الكفار] كلمة جديدة في معجم الشاعر ، وهي مستمدة من القرآن الكريم والحديث الشريف ، كدليل على تأثر الشاعر تأثرًا واضحًا بمصدري التشريع الإسلامي .

* * *

(١) السابق ، صـ ١٢٩ .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ، جـ١ ، صـ ٨٨ ، الحديث رقم (١٥) ، دار مصر للطباعة ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م .

(٣) السابق ، جـ١ ، صـ ٨٩ .

(٤) الديوان ، صـ ١١٤ .

(ب) ثم يأتي الموروث البيئي الأدبي والثقافي لدى الشاعر كمصادر فاعلة ومؤثرة في تكوين الصورة في معجمه الشعري ، ويبدو ذلك واضحًا في قوله :

وسرنا كموج البحر تطمو سيوله بخيل تراها في العجاجة تمزع
فقامت بنو عوف وقد حمي الوغى ينادون عمرًا والأسنة تشرع[١]

فقوله (سرنا كموج البحر) و(العجاجة) و(والأسنة تشرع) تعبيرات مستمدة من البيئة البدوية الجاهلية ، ونرى مثل ذلك عند شعراء آخرين ، فهذا امرؤ القيس يقول :

وليل كموج البحر أرخى سدوله عليّ بأنواع الهموم ليبتلي[٢]

وهذا عنترة يقول في الحديث عن الشجاعة :

يدعون عنتر والرماح كأنها أشطان بئر في لبان الأدهم[٣]

وحين يقول عن قومه في غزوة حنين :

فجئنا بألف من سليم عليهم لبوس لهم من نسج داود رائع
فجسنا مع المهدي مكة عنوة بأسيافنا والنقع كاب وساطع[٤]

نجد أن الشطر الثاني من البيت الأول مستمد من الموروث الثقافي والأدبي في البيئة العربية قديمًا ، وقد استعمله كعب بن زهير في حديثه عن صحابة الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– حيث قال :

(١) الديوان ، صـ ١٠١ ، ومثله صـ١٢٣ ، كلمة (العجاجة) .
(٢) ديوان امرئ القيس ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، صـ١٨ ، دار المعارف ، سلسلة ذخائر العرب (٢٤) ، الطبعة الخامسة .
(٣) ديوان عنترة بن شداد ، ضبط وتحقيق الأستاذ / عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي ، صـ٢٠٢، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠١م .
(٤) ديوان العباس بن مرداس ، صـ ١٠٨ .

شم العرانين أبطال لبوسهم من نسج داود في الهيجا سرابيل[١]

أما حديثه عن النقع في البيت الثاني، فهو حديث مستمد من البيئة البدوية التي يعيشون فيها بغبارها وعجاجها الذي تثيره الخيل بسنابكها وقت احتدام المعركة ، تلك الصورة التي استقاها الشعراء المحدثون الذين أتوا في العصور المتلاحقة ، حتى رأينا شاعرًا كبشار ينسج ويركب من تلك الصورة صورة ذهنية رائعة تحدث النقاد عنها كثيرًا في شيء من الإكبار للشاعر، حيث يقول :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه[٢]

ولولا حديث الأجداد – من أمثال العباس بن مرداس– عن النقع والعجاج سابقًا ، لما تفتق ذهن بشار عن مثل هذا الجمال الذي أتى به في صورته السابقة .

جـ – أما عن حرص الشاعر على انتقاء ألفاظ معجمه الشعري فهذا واضح فيما قدمناه – وما ستقدمه الدراسة فيما بعد – من نماذج تدلل على ما في الألفاظ من طاقة إيحائية تجعل الصورة في النهاية قادرة على الإشعاع .

***

<u>أنماط الصورة في شعر العباس بن مرداس</u> :

ورد في شعر العباس بن مرداس صور عديدة ومختلفة ، تتساوى مع ما وضعه النقد الحديث من أنماط تصويرية ، كالصورة الوصفية ، والصورة

(١) ديوان كعب بن زهير ، تحقيق الأستاذ / علي فاعور صـ٦٧ ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .

(٢) ديوان بشار بن برد ، جمع وتحقيق وشرح / الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، جـ ١ ، صـ ٣٣٥ ، ط وزارة الثقافة ٢٠٠٧م .

الحركية ، والصورة اللونية ، وغير ذلك من أنماط تصويرية تحدث عنها نقادنا المحدثون ، وقد ورد في شعر العباس بعضا من هذه الأنماط ، نتحدث عنها السطور التالية :

١- **الصورة الوصفية** : هي ذلك النوع من الصورة التي اعتمد فيها الشاعر على الوصف بإبراز التفصيلات الدقيقة للأحداث الخاصة بالرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– أو الخاصة بوصف أشياء أخرى ضمن حديثه عن الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– من مثل قوله في يوم فتح مكة :

منا بمكة يوم فتح محمد ... ألف تسيل به البطاح مسوّمُ
نصروا الرسول وشاهدوا أيامه ... وشعارهم يوم اللقاء مقدّمُ
في منزل ثبتت به أقدامُهم ... ضنْكٍ كأن الهام فيه الحنْتَمُ
جرّت سنابكها بنجدٍ قبلها ... حتى استقاد لها الحجاز الأدهمُ
الله مكنه له وأذلّهُ ... حُكْمُ السيوف لنا وجد مِزْحَمُ
عَوْدُ الرياسة شامخ عرنينه ... متطلعٌ ثغرَ المكارم خِضْرَمُ (١)

فهو يصف كثرة قومه بني سليم يوم فتح مكة ، حيث كانوا ألفا مسومًا معلمًا ، تسيل به البطحاء [كناية عن كثرتهم وقتئذ] هؤلاء الألف نصروا الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– ، حاملين لواءً لهم – حيث عقد الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– لواءً خاصًا بهم ، فيروي ابن عساكر أنهم لما أسلموا – أعني بني سليم وفيهم العباس– قالوا لرسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ–: " اجعلنا في مقدمتك ، واجعل لواءنا أحمر ، وشعارنا مقدمًا ، ففعل ذلك بهم"(٢).

(١) ديوان العباس بن مرداس ، صـ١٣٩ ، ضنك : ضيق / الهام : الرؤوس / الحنتم : الحنظل / مزحم : كثير المزاحمة ، يريد أن جدهم غالب / خضرم : جواد .

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر [٤٩٩هـ – ٥٧١هـ] تحقيق محب الدين العمروي ، جـ٩ ، صـ ٣٢٤ ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .

ويرى أحد النقاد المعاصرين أن هذه الرواية يستفاد منها (أن بني سليم كانوا من الشأن ، بحيث آثر رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– أن يتألفهم باسترضائهم ، إذ عقد لهم لواءً خاصًا تحت إمرة خالد بن الوليد ، بما يشير إلى بعض إصرار قد كان فيهم على الوثنية)[١] ، ولنا هنا وقفة ، فمن المعلوم أن بني سليم كانوا ذا شأن كبير ، وهذا لا مراء فيه ؛ حيث أراد القوم أن يميزوا أنفسهم في الحرب ، لما عرف عنهم من الحنكة ، والدربة في القتال ، وأما الذي لا يقوى على النقد ، ولا يستسيغه البحث هو كون هذا الخبر يشير إلى (بعض إصرار قد كان فيهم على الوثنية) ، إذ كيف يقبل نبي الإسلام – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– منهم ذلك ويعلم أن قلوبهم ما زالت متعلقة بعبادة الأوثان، والمعلوم أن الأصل في الإسلام هو إسلام القلب لله وحده وعبادته دون سواه، فكيف يتم إذن توحيد الألوهية وفيهم بعض إصرار على الوثنية، فالمقبول – إذن – في هذا المقام أن بني سليم أسلموا إسلام المخلص العاقل الذي يعي أن ما كان يُعبد من دون الله هو من قبيل الجهل وعدم الإدراك ، وقد روى عن العباس بن مرداس– ويروي لغيره – قوله –حينما أدرك في جاهليته أنه كان على خطأ عظيم حينما عَبَدَ الأصنام ورأى ثعلبًا يبول عليه– :

أَرَبٌ يبـــول الثعلبـــان برأســـه لقد هان من بالت عليه الثعالب[٢]

أما قوله :

ومـن قبـل آمنـا وقـد كـان قومنـا يصـلون للأوثـان قبـل محمـدًا [٣]

فهذا اعتراف أنهم كانوا يعبدون الأصنام والأوثان في جاهليتهم ، أما

(١) جدلية القلق في شعر العباس بن مرداس صـ ٥٢٢ .
(٢) الديوان ، صـ ١٦٧ .
(٣) السابق ، صـ ٥٦ .

العباس فقد آمن أي صدّق محمدًا – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– من قبل قومه، ففي البيت نكتة نحوية ، وهو من الأبيات ملغزة الإعراب والمعنى : ومن قبل آمنا محمدًا أي صدّقنا محمدًا ، فمحمدًا منصوب بمعنى التصديق[1] ، والنصب هنا على المفعولية لكلمة (آمنا) .

ومن ثم نصل إلى نتيجة هامة فحواها أن بني سليم – ومنهم الشاعر– لم يكن في بالهم أي إصرار على الوثنية ، وأنهم ما طلبوا من رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– ذلك إلا لكونهم أصحاب دراية بالحروب وذوي خبرة وجَلَد ، فضلا عن كونهم عصبة أولي قوة ، فأرادوا أن يظهروا بهذا المظهر كعلامة لهم يعرفون بها ، وقد كان من الصحابة من إذا قاتل علم بعصابة حمراء كأبي دجانة الذي كان – كما يقول الذهبي– إذا أراد القتال أعلم بعصابته [2].

أعود فأقول : إن القصيدة التي معنا تعد صورة وصفية صادقة لبني سليم الذين نصروا رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– في فتح مكة ، حيث كانوا ذا عدد وعدة .

ومن الصورة الوصفية – أيضا–هذه الصورة الرائعة التي يصف فيها بلاء قومه من بني سليم الذين هم بنو الحرب والموت الشديد ، كما أنهم هم الذين نصروا الله ورسوله ، استمع إليه يقول :

واذكر بلاء سليم في مواطنها وفي سليم لأهل الفخر مفتخر
هم بنو الحرب والموت الذعاف إذا لاقى الكتائب منهم قادة صُبُرُ
قوم هُمُ نصروا الرحمن واتبعوا دين الرسول وأمر الناس مشتجرُ
لا يغرسون فسيل النخل وسطهمُ ولا تخاوَرُ في مشتاهم البقرُ

(١) ينظر : الزاهر في معاني كلمات الناس لابن الأنباري (ت٣٢٨هـ) تحقيق د/ يحيى مراد صـ٨٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

(٢) ينظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ، جـ٢٣ ، صـ ٣٩٧ ، ط مؤسسة الرسالة ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .

إلا ســـوابح كالعقبـــان مُقْرَبَـــة فـــي دارةٍ حولهـــا الأخطـــار والعَكَـــرُ
تُدعى خُفافٌ وعوفٌ في جوانبها وحـــيٌ ذكـــوانَ لا مِيْـــلٌ ولا ضُـــجُرُ
الضاربون جنود الشرك ضاحيةً بـــــبطن مكـــــة والأرواح تبتـــــدرُ
حتـــى تولـــوا وقـــتلاهم كـــأنهم نَخْـــلٌ بظـــاهرةِ البطحـــاءِ منقعِـــرُ
ونحـن يـوم حنـين كـان مشـهدنا للـــدين عـــزًا وعنـــد الله مُـــدَّخر
إذ نركب الموت مُخْضَـرًّا بطائنُـه والخيل ينجاب عنها ساطع كدِرُ[1]

والقصيدة مفعمة بالصور الوصفية التي زانت اللوحة جمالاً ، فهو يصف بلاء قومه في الحروب ، ويصورهم بأبناء شرعيين للحرب والموت ، دليلاً على شدتهم ، وهم يمثلون للعدو الموت الشديد ولو جاءوا كتائب عديدة ، فهم صُبُر عند لقاء العدو ، ولا ينسى أن يضع العباس إطارًا إسلاميًا لتلك الصورة، ومرتكزًا ينطلق من خلاله ، ومن ثم كانت تلك الصورة (هُمُ نصروا الرحمن واتبعوا دين الرسول ...) حيث تعد الأساس الذي يبني عليه الشاعر أفكاره ومعانيه ، فهي حرب عوان ؛ لأنها ذات غاية نبيلة ، ألا وهي نصر دين الله ، وهم قادة صُبُر عند اللقاء ، ينتظرون الأجر من الله :

ونحن يوم حنين كان مشهدنا للدين عزًا وعند الله مدخـر

ويؤكد الصورة السابقة بصورة أخرى يصور فيها مدى قوتهم واستعدادهم للحرب ، فهم (لا يغرسون فسيل النخل ...) كناية عن أنهم أهل حرب وتنقل ، وليسوا أهل زراعة وتربية أنعام ، واختار الشاعر الزارع في قوله (لا يغرسون) بما يفيد أن مهنة الزراعة – وقتذاك – كانت غير مرغوب فيها ، وكانوا يفضلون عليها التجارة أو القيام بالرعي.

(١) ديوان العباس بن مرداس ، صـ٧٣ ، ٧٤ ، الذعاف والزعاف بمعنى واحد : الشديد ، السوابح: الخيل كأنها تسبح في جريها ، العكر : الإبل الكثيرة ، ساطع : غبار متفرق ، كدر : متغير إلى الأسود .

وما أجمل هذه الصورة التي يحملها هذا البيت :

إلا ســـوابح كالعقبـــان مقربـــة فـــي دارة حولهـا الأخطـار والعكـر

فهم أهل تربية خيول تسبح في جريها فتنقضُّ على العدو انقضاض العقاب على فريسته ، وهي – أي الخيول– قريبة من البيوت ، محاطة بجماعات الإبل الكثيرة ، وفي هذا ما يشي بأن البيئة بيئة حرب تعتمد على الخيل والإبل، وهما جناحا النصر في أي معركة .

ثم كانت النتيجة :

حتـــى تولـــوا وقـــتلاهم كـــأنهم نَخْـــلٌ بظـــاهرةِ البطحـــاءِ منقعِـــرُ

فالعاقبة وخيمة على الكافرين ، إذ فرّ العدو وقتل من قتل ، كأنهم أعجاز نخل منقعر .

وحين يشتد وطيس المعركة لا يهابون الموت (إذ نركب الموت ...) فهم يجعلون الموت مطية للآخرة (مخضرًا بطائنه) والجو يملؤه الغيم نتيجة الغبار المنبعث من سنابك الخيل (والخيل ينجاب عنها ساطع كدر) .

***

٢- **<u>الصورة الحركية</u>** : هي ذلك النوع من الصور التي تعتمد في مجملها على وصف حركة ما ، مما يجعل المتلقي في حالة من الانتشاء ، جراء وصف الشاعر لهذه الحركة ، ومن ذلك قول الشاعر عن فتح مكة ويوم حنين :

وقـــال نبـــيّ المـــؤمنين تقـــدموا وحـــب إلينـــا أن نكـــون المقـــدما
وبتنـــا بِنَهْـــي المســـتدير ولـــم يكـــن بنـــا الخـــوف إلا رغبـــةً وتحزّمـــا
أطعنـــاك حتـــى أســـلم النـــاس كلهـــم وحتـــى صـــبحنا الجمـــع أهـــل يلملمـــا

يَضِلّ الحِصَانُ الأبلقُ الوردُ وَسْطَه ولا يطمئن الشيخ حتى يسوما
سمونا لهم وِرد القَطَا زَفَّهُ ضُحىً وكلٌ نراه عن أخيه قد اجحما
لَدن غدوةً حتى تركنا عشية حُنينا وقد سالت مدامعه دما
إذا شئت من كلِّ رأيت طِمِرّةً وفارسها يهوي ورمحًا محطما(١)

يلاحظ أن هذه اللوحة مليئة بالصور الحركية العديدة ، فهناك الصورة الحوارية المعتمدة على الحركة (وقال نبي المؤمنين تقدموا ... وبتنا بنهي المستدير ... أطعناك حتى أسلم الناس كلهم) .

وهناك الصورة الحركية المعتمدة على خفة الحركة ، والسرعة (يضل الحصان الأبلق الورد وسطه ...) فإذا كان الحصان الأبلق المشرب حمرة يضل ويغيب وسط هذا الجمع وذاك الغبار المنبعث من سنابك الخيل ، فهذا يدل على ضراوة المعركة ، وسرعة الفرس المذهلة التي جعلت الأعداء يضطربون، وهناك الصورة الحركية المعتمدة على الدقة والترتيب ، فضلاً عن السرعة كقوله (سمونا لهم ورد القطا زفه ضحى ...) فهو يقول : إننا نهضنا لقتالهم نهضة سريعة تشبه نهضة طائر (القطا) الذي أسرع به الضحى وساقه سوقًا شديدًا ، وفي هذا ما يشير إلى الخفة والحركة والترتيب والإحكام ، فضلاً عما يتميز به بنو سليم من الحنكة في الحروب ، فهم يعون جيدًا أن الحرب خدعة ، ومن ثم كانت السرعة والتبكير .

وتختتم اللوحة بهذا الصورة الحركية التي توضح مآل هذه المعركة التي انتهت بنصر المسلمين ، وكان نصيب الأعداء القتل والتشريد :

إذا شئت من كل رأيت طمرة وفارسها يهوي ورمحًا محطما

(١) الديوان صـ ١٤٢ ، ١٤٣ ، نهي المستدير : موضع بالحجاز ، الأبلق : الذي فيه بياض مع سواد ، الورد : المشرب حمرة ، زفه الضحى : أسرع به ، طمره : فرس سريعة .

وما أجمل هذا التصوير الذي يجعل المتلقي يعيش داخل أجواء المعركة (وفارسها يهوي – ورمحًا محطمًا) وكأن الفريقين صارا يقتتلان في ثبات وإصرار على قتل كل منهما الآخر ، حتى جاءت النهاية بانتصار الأقوى والأتقى والأجدر بالفوز .

ومثله قوله في يوم حنين أيضًا :

بنـــا عـــز ديـــن الله غيَـــرَ تَنَحُّـــل وزدنا على الحيّ الذي معه ضعفا
بمكـــــة إذ جئنـــــا كـــــأن لواءنـــــا عقاب أرادت بعد تحليقها خطْفا
على شخص الأبصار تحسِب بينها إذا هي جالت في مراودها عَزْفا
غداة وطئنا المشركين ولم نجد لأمر رسول الله عدلا ولا صَرْفا
بمعترك لا يسمع القوم وسطه لنا زجمة إلا التذامر والنقفا
ببيض تطير الهام عن مستقرها ونقطف أعناق الكماة بها قطفا
فكائن تركنا من قتيل مُلَحَّب وأرملة تدعو على بعلها لهفا[1]

فحركية الصورة تتضح **أولاً** في قوله : (إذا جئنا كأن لواءنا عقاب ..) والعقاب هو من الطيور الكواسر الضخمة المفترسة ، وهو من آكلي اللحوم، وشبه لواء المسلمين من بني سليم بالعقاب ، ليدل على الخفة والسرعة في الانقضاض على العدو والفتك بهم .

وتتضح **ثانيا** في قوله:(على شخص الأبصار...) بهذه الصورة الرائعة التي تصور الأعداء وهم في حالة من الرعب والفزع الشديدين ، وكأنهم ينتظرون حتفهم لا محالة ، فهم يرون الموت متربصا بهم من كل مكان ، ومن ثم فأبصارهم شاخصة ، لا تطرف أبدًا ، ينظرون في كل مكان ؛

(١) السابق ، صـ ١١٥ ، ١١٦ ، خطفا : انقضاضا ، شخّص : جمع شاخص وهو الذي يفتح عينه ولا يطرف ، المراود : جمع مرود وهو الوتد ، أو جمع مراد وهو حيث ترود الخيل أي تذهب وتجيء ، العدل : الفدية ، الصرف : التوبة ، المعترك : موضع الحرب ، الزجمة : الصوت ، التذامر : الحض على القتال ، النقف : كسر الرؤوس ، ملحب : مقطع اللحم .

خوفًا من انقضاض جيش المسلمين عليهم فيهلكهم .

وللخيل دور كبير في تلك الصورة ؛ حيث إنها تصول وتجول في أماكن الحرب ، محدثة بسنابكها صوتًا يخيل لمن يسمعه أنها تعزف لحنًا جنائزيًا عبقريًا ، مؤذنة بتلك النهاية الأبدية لهؤلاء المشركين .

وتتضح **ثالثًا** في قوله :

بمعترك لا يسمع القوم وسطه لنا زجمة إلا التذامر والنقفا

فجيش المسلمين (ومنهم بنو سليم) ذو حركة دائبة تنم عن نشاط وخفة ، وذو صوت واحد يصدر من شيئين : **أولهما** – حض بعضهما بعضا على القتال ؛ إعلاءً لدين الله (رضا الله ننوي) ، وثانيهما – هذا الصوت المنبعث جراء كسر الرؤوس أو قطعها وقطفها ، بتلك القوة وهذا النصر المؤيد من المولى سبحانه وتعالى ، ومن ثم كانت هذه النتيجة الحتمية جراء هذا النصر العظيم :

فكائن تركنا من قتيل مُلَحّبٍ وأرملةٍ تدعو على بعلها لهفا

هذه صورة حركية ذات صوت وصراخ من تلك الأرملة التي تنادي على بعلها متلهفة عليه ، وهذا يشير إلى ضراوة المعركة ، وقوة بأس المسلمين ، وعظم النصر .

وهكذا ، نرى أن حركية الصورة أسهمت في بيان دور جيش المسلمين (وفيهم بنو سليم) في هزيمة المشركين هزيمة نكراء ، مما يوحي بقوة المسلمين آنذاك ، وكثرة عددهم ، وحنكتهم ، ويسبق هذا كله تأييد المولى – عز وجل – لهم الذي قال فيه العباس :

نمضي ويحسرنا الإله بحفظه والله ليس بضائع من يحرس.[١]

***

(١) الديوان ، صـ ٨٩ .

٣- **الصورة اللونيـة :**

إن دلالة الألوان في شعر أي شاعر – كما يقول د/ يوسف حسن نوفل- (يتيح للنص الشعري جملة من الإيحاءات والرموز ، إذ تتعدى دلالة اللون نطاقها الوضعي المطابق إلى ما هو أعم ؛ حيث تتسع دائرة إيحاء اللون للتفسير والتأويل بتضمنها معاني ورؤى أعم من المعنى الوضعي) .[١]

ومن ثم كان اللون مثيرًا حسيًا يثير الناس عامة ، والشاعر خاصة واللون بالنسبة للقارئ (وسيلة لاستحضار هذه الأشكال والألوان في نسق خاص ، إنه تصورات الحواس باستحضارها ، وإلا كان شيئًا مملاً) [٢].

وللعباس بن مرداس في بعض أشعاره التي معنا صور ذات ألوان مختلفة بأبعاد دلالية تختصر عناصر أخرى من الزمان والمكان والأحداث .

١- فهو يقول عن يوم حنين :

ويـومٌ كـان قبـلُ لـدى حنـين فـأقلع والـدماء بـه تمـور
قتلنـا فـي الغبـار بنـي حُطـيط علـى راياتهـا والخيـل زور [٣]

فالشاعر هنا ذكر لونين : الأحمر ، والأسود ، أما اللون الأحمر فهو لون الدم وهو يسيل (والدماء به تمور) كدليل على كثرة عدد القتلى من المشركين، وكلمة (تمور) تدل على سرعة سيلان الدم ، فالمور هو الجريان السريع ، ومن ثم عاش فريق المشركين في هلع وخوف واضطراب .

---

(١) الصورة الشعرية واستيحاء الألوان د/ يوسف حسن نوفل ، ص٧، ط الاتحاد العربي ، مصر ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .

(٢) الشعر العربي المعاصر : قضاياه وظواهره الفنية د/ عز الدين إسماعيل ، صـ ١٣٠ ، ط دار العودة، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٨١م .

(٣) ديوان العباس بن مرداس ، صـ ٦٩ .

وأما اللون الأسود فيتمثل في اختياره ما يدل عليه وهو (الغبار) وهذه كلمة لها دلالتها في هذا المقام ؛ حيث تدل على احتدام المعركة وشدة وطيسها وكثرة الكر والفر من الخيل والإبل حتى تحرك الغبار ، فأثار الجو واضطرب ، وهنا يأتي دور الحنكة والدربة في الحروب ؛ حيث كان لجيش المسلمين القدح المعلى ، وانتهت المعركة بقتل المشركين واستئصال شوكتهم.

٢- وحين يقول :

ونحن يوم حنين كان مشهدنا للدين عزًا وعند الله مدخر
إذ نركب الموت مخضرًا بطائنه والخيل ينجاب عنها ساطع كدر(١)

نجد أنه استعار للموت اللون الأخضر ، وهذا من بديع الأشياء وغريبها، إذ إن المتعارف في التعبير بالألوان أن الموت يعبر له باللون الأسود، ولكن أثر الإسلام في قلب الشاعر (كان مشهدنا للدين عزًا وعند الله مدخر) جعله يحب ما عند الله ، ومن ثم كان الموت (مخضرًا بطائنه) كما أن تأثير السنة النبوية في قلم شاعرنا واضح كل الوضوح ، إذ إنه هنا متأثر بقول الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- عن أرواح الشهداء : " أرواحهم في حواصل طيور خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت "(٢).

٣- وللون الأبيض حضور- كذلك - في شعر العباس ، إذ نراه يقول في مديح النبي محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ :

رأيتك يا خير البرية كلها نشرت كتابًا جاء بالحق معلما

(١) الديوان ، صـ ٧٤ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ، حديث رقم ١٨٨٧ ، كتاب الإمارة ، نشر وتوزيع دار السلام ، القاهرة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .

ونـــورت بالبرهـــان أمـــرًا مدمسًـــا وأطفـــأت بالبرهـــان نـــارًا مضـــرما[1]

فالصورة كلها مضيئة باللون الأبيض الناصع ؛ حيث إن المقام مقام مدح النبي محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– ، ومن ثم لجأ الشاعر إلى إظهار لوحته وتضويئها ببيان فضل النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– ، فهو نور أتى ليضيء به المولى سبحانه الكون جميعًا ، كما أنه أُيّد بالبرهان ،وهو القرآن والسنة، وهذان يمثلان النور (وهو اللون الأبيض) ؛ ليزيل به الظلام (أمرًا مدمسًا) الذي عاشه القوم قبل بعثته – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– ، وليطفئ به نار المجوس التي عبدوها من دون الله سبحانه وتعالى ، وكثيرًا ما يتكئ العباس على هذه القضية ، وهي : أن دين محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– فيه الهدى والشرائع (النور) وأنه أزال الضلال (الظلام) إذ يقول في مكان آخر من الديوان :

ولكن دين الله دين محمـــد رضينا به فيـه الهدى والشرائـــع
أقام به بعد الضلالة أمرنـا ولـيس لأمـر حمّـه الله دافـع[2]

ومن خلال ما سبق ندرك أن العباس بن مرداس استعان بالألوان ؛ إسهامًا منه في إبراز صورة لونية صادقة تسجل انتصارات المسلمين الرائعة على المشركين في معاركهم من أجل إعلاء دين الله سبحانه وتعالى ، وبيان أن محمدًا – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– أرسله الله لإخراج القوم من ظلمات الجهل إلى نور الهداية والرشاد .

***

٤– **<u>الصورة القصيرة</u>** ، وأعني بها هنا ذلك النوع الذي اعتمد فيه الشاعر على التشبيه أو الكناية ، أو الاستعارة .

(١) ديوان العباس بن مرداس ، صـ ١٤٥ .
(٢) السابق ، صـ ١٢٠ .

أ – **الصورة التشبيهية** :

هي الصورة التي اعتمد فيها الشاعر على التشبيه ، معبرا بها عن انفعالاته .

كقوله حين أحرق ضِمارًا ولحق بالنبي – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ .

لعمري إني يوم أجعلُ جاهدًا ضِمارًا لرب العالمين مشاركًا
وتركي رسول الله والأوس حوله أولئك أنصار له ما أولئكا
كتارك سهل الأرض والحزْن يبتغي ليسلك في غيب الأمور المسالكا(١)

فهو يشبه حالته وهو على الشرك وتركه الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– وحده مع الأنصار بحالة من يترك السهل من الأرض ويبتغي ما غلظ منها ، ومن ثم فهو لا يصل إلى غايته من جراء تلك المصاعب التي تلاحقه إن استمر في تلك الحالة .

ومن تلك الصور قوله في فتح مكة يصف جيش المسلمين وفيهم بنو سليم :

في منزل ثبتت به أقدامهم ضَنْكٍ كان الهام فيه الحنتم (٢)

فهو يصور كثرة عدد جيش المسلمين في فتح مكة ، وأن كثرتهم جعلت المكان ضيقًا (ضنكٍ) هذه الكثرة المنظمة جعلت الشاعر يتخيل هاماتهم – من كثرتها – كالحنتم (وهو الجرار المرصوصة ، أو حب الحنظل في كثرته) .

– ومثله قوله في يوم حنين :

كأن السهام المرسلات كواكبٌ إذا أدبرت عن عجّها وهي تلمع(٣)

(١) السابق ، صـ ١٢٠ .
(٢) السابق ، صـ ١٣٩ .
(٣) السابق ، صـ ١٠٢ .

فهو يشبه السهام التي يقاتلون بها ويرمونها على أعدائهم وسط مثار النقع وغبار المعركة بالكواكب اللامعة وسط السماء في ليلة ظلماء ، وكأن هذه السهام اللامعة تعرف جيدًا من سيُرمى بها ، فهي سهام معلّمة مسومة لا مفر ممن قصدته .

––*

ب– **الصورة الكنائيـة** :

هي في المنظور المعاصر(لفظ أو صورة مذكورة على سبيل المجاز بديلة عن أخرى محذوفة، وهذه الصورة تعبر عن المعنى المراد بطريق الحقيقة ،والمسوغ لذلك أن الأولى لازمة لتحقق الثانية) [١] كقول العباس عن جيش المسلمين – وخاصة بني سليم – يوم حنين :

تحت اللواء مع الضحاك يقدمنا كما مشى الليث في غاباته الخدر

في مأزق من مَجَرّ الحرب كلكلها تكاد تأفل منه الشمس والقمر [٢]

فهو يقول في البيت الثاني : إن جيش المسلمين من الكثرة بمكان ، لدرجة أن المكان ضاق بأولهم فقط دون آخرهم ، حتى إن الشمس والقمر قد حجب نورهما فلا يكاد يصل ضوؤهما على الأرض ، وهذه كناية رائعة عن كثرة العدد وقتئذ ، مما حدا ببعض المسلمين أن يقول وقتها : " لن نهزم اليوم من قلة "[٣].

(١) الكناية في القرآن الكريم موضوعاتها ودلالتها البلاغية ، د/ أحمد فتحي رمضان الحياني صـ٦٧ ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، عمان ، الطبعة الأولى ٢٠١٤م – ١٤٣٥هـ .

(٢) ديوان العباس بن مرداس ، صـ ٧٤ .

(٣) مرويات غزوة حنين وحصار الطائف ، إبراهيم بن إبراهيم قريبي ، جـ١ ، صـ ١٣٥ . نشر عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، المدينة النبوية ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

- ومثله قوله في نفس القصيدة :

فمـا تـرى معشـرًا قلـو ولا كثـروا إلا قـد أصـبح منـافيهم أثـر[١]

وهذا البيت كناية عن قوتهم في الحرب ، وأثرهم الواضح والجلي في العدو، حتى إنه يندر أن تجد فيهم من لم يتأثر بطعنة أو ضربة من جيش المسلمين .

- وفي قوله :

ويـومٌ كـان قبـلُ لـدى حنـين فـأقلع والـدماء بـه تمـور [٢]

نجد أن قوله (والدماء به تمور) كناية عن كثرة القتل والقتلى ، حتى إن الدماء من كثرتها مارت وفارت وصارت كالسيل المدرار .

- ومثل هذا البيت قوله في فتح مكة :

منـا بمكـة يـوم فـتح محمـد ألـفٌ تسـيل بـه البطـاح مسـوّم[٣]

فبنو سليم كانوا ألفًا مسومين يسيرون في الأرض السهلة المتسعة فيضيق المكان بهم ، لكثرتهم ، ويخيل لمن يراهم أنهم في كثرة عددهم وسرعة زحفهم للقتال – سيلٌ يندفع ماؤه المبارك بقوة وسرعة ، ولعل في هذا كله ما يسهم في إحداث تأثير في أعماق المتلقي في استحضار الصورة .

----*

جـ – **<u>الصورة الاستعاريـة</u>** :

لأهمية الاستعارة في الصورة رأينا بعض الأدباء يبالغ في تعريف الصورة بأنها تطلق أحيانا مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات [٤] ، مما

(١) ديوان العباس بن مرداس ، صـ ٧٤ .
(٢) السابق ، صـ ٦٩ .
(٣) السابق ، صـ ١٣٩ .
(٤) ينظر الصورة الأدبية ، د/ مصطفى ناصف ، صـ٣ ، مكتبة دار مصر للطباعة – القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٥٨م .

يشير إلى أن الاستعارة تلتقي مع الصورة في أن كلتيهما تشكيل لغوي قائم على هدم علاقات قديمة وإقامة بناء علاقات جديدة في إطار اللغة ، فضلاً عن أن كلتيهما ترتبط ارتباطا وثيقا بعنصر الخيال والعاطفة والحواس ، وما صلتهما ببعضها إلا صلة الجزء بالكل) [١] وفي شعر العباس بعض من تلك الصورة التي تلتقي مع رؤية النقد الحديث للصورة ، ومن ذلك قوله في يوم حنين :

إذ نركب الموت مخضرًا بطائنه والخيل ينجاب عنها ساطع كدر [٢]

فهو هنا لجأ إلى تجسيم الموت ، وجعله ركوبة ومطية ، على سبيل الاستعارة المكنية ، مما يوحي بمدى بطولتهم ، ومدى استعدادهم لملاقاة العدو ، وإن أدى ذلك إلى الموت ، فهم لا يهابونه ، إذ أنه يمثل لهم الشهادة وهي الغاية المرجوة ، والسعادة المنتظرة .

- ومن ذلك – أيضًا – قوله في فتح مكة وغزوة حنين :

لدن غدوة حتى تركنا عشية حنينا وقد سالت مدامعه دما [٣]

فقوله عن حنين (وقد سالت مدامعه دمًا) فيه استعارة بالكناية ، حيث شخص حنينا ، وجعله شخصًا تسيل مآقيه دما بدلاً من الدمع ، وفي هذا ما يشير إلى عظم الأثر الذي تركه جيش المسلمين – وقتذاك – وفيهم بنو سليم – في هؤلاء المشركين الذين سكنوا هذا الوادي .

- ومن ذلك –أيضًا– قوله في لقاء هوازن بعد فتح مكة يصف جيش المسلمين وفيهم قومه من بني سليم :

---

(١) الصورة الاستعارية في الشعر العربي الحديث ، رؤية بلاغية لشعرية الأخطل الصغير ، د/ وجدان الصايغ صـ ٣٤ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م .

(٢) الديوان ، صـ ٧٤ .

(٣) السابق ، صـ ١٤٣ .

تكـاد ترجـف منــه الأرض رهبتــه وفـــي مقدمـــه أوس وعثمـــان [١]

فقد لجأ إلى تشخيص الأرض وإلباسها صورة الأحياء من بني البشر (ترجف – رهبته) مع إضفاء عواطفه ومشاعره عليها ، وهذا ما يسميه البلاغيون الاستعارة المكنية ، ولعل في ذلك ما يشي بقوة جيش المسلمين وكثرتهم عددًا وعتادًا .

* ـــ * ـــ *

المحـور الثاني : الصياغة التعبيريـة (الألفاظ والأساليب)

تعد الصياغة التعبيرية (أداة توصيل فكرة الموضوع إلى المتلقي ، فضلاً عن تمثيلها لطبيعة الفن في العمل الأدبي ودلالتها على قدرة الشاعر في صوغ معانيه ، ومن ثم تأتي أهمية توجيه النظر إليها ، لبيان ما تحمله من خصائص وسمات) [٢] وبالتأمل في خصائص وسمات ألفاظ وأساليب شعر العباس بن مرداس في الناحية التي نحن بصدد البحث فيها، نجد أننا يمكن تلخيصها في العناصر الآتية :

أولاً : المواءمة ، أي (تمكن الشاعر من استخدام الألفاظ الموائمة لطبيعة الفكرة التي يعالجها بحيث تتعاون معانيها على إبرازها في وضوح) [٣].

فحينما نقر أحديثه عن غزوة حنين نجده يستخدم مع المشركين كلمات مثل : [رأس العدو ، قتلهم ألذ ، هزمنا ، غادرتهم ، صِرْما] [٤] ، [أضاعوا

(١) السابق ، صـ ١٥٥ .

(٢) مـن عيـون الأدب العباسـي دراسـة تحليليـة نقديـة د/ أحمـد محمـد علـي حنطـور ، صـ ١٣٦ ، ط التركي، طنطا ، الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .

(٣) السابق والصفحة .

(٤) ديوان العباس بن مرداس ، صـ ٤٨ .

أمرهم ، أبحناهم ، الدماء ، تمور ، قتلنا ، الغبار] [١].

وحين نأتي إلى ذكر الرسول- صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- تقابلنا كلمات (نبي، محمدًا) [٢] ، (خير ، ركب المطي ، انجلي الظلام ، الرسول) [٣]، (المهدي ، رسول الله ، دين محمد) [٤].

وحينما يتحدث عن قومه بني سليم وبيان مدى قوتهم في غزوة حنين تقابلنا كلمات مثل : (هزمنا الجمع ، بذي لَجَب) [٥] ، (أسد غابات ، جنود الله ، نؤمُ الجمع ، أبحناهم ، قتلنا ، الرياسة) [٦].

ثانياً : جزالة الألفاظ ورصانة التعبير ، وحسن السبك ومتانة النسج ، ولعل هذا ما يناسب الفخر والحماسة التي تميز بها العباس في شعره ، إنها قوة ومتانة في غير تعقيد أو غموض أو تعميق ، ولعل هذا يرجع إلى البيئة البدوية الخشنة التي عاشها الشاعر ذات الإيقاع القوي للألفاظ والأساليب ، وهذا واضح في مثل قوله يذكر فرار قارب بن الأسود يوم حنين :

فأفلت من نجا منهم جريضًا ... وقُتّل منهمُ بشرٌ كثير
ولا يُغني الأمور أخو التواني ... ولا الغِلْقُ الصُّرَيّرَة الحصور
أحانهم وحان وملّكوه ... أمورهم وأفلتت الصقور
بنو عوف تميح بهم جياد ... أهين لها الفصافص والشعير
فلولا قارب وبنو أبيه ... تقسمت المزارع والقصور [٧]

(١) السابق ، صـ ٦٩ .
(٢) السابق ، صـ ٨٤ .
(٣) السابق ، صـ ٨٨ ، ٨٩ .
(٤) السابق ، صـ ١٠٨ ، ١٠٩ .
(٥) السابق ، صـ ٤٨ .
(٦) السابق ، صـ ٦٩ ، ٧٠ .
(٧) السابق ، صـ ٧٠ .

فهو يذكر كلمة (جَريضًا) أي مختنقا بريقه ، وكلمة (الغَلِق) أي الكثير الحرج ، و(الصُرّيَّرة الحصور) ، أي الذي لا يأتي النساء ، وكلمة (أحانهم) أي أهلكهم وحان أي أهلك ، وكلمة (تميح) أي تمشي مشيًا حسنًا ، و(الفصافص) جمع فصفصة وهي البقلة التي تأكلها الدواب ، وهذه كلمات كما ترى تحتاج إلى تفسير وتوضيح لغرابتها ، ومن ثم جاءت الألفاظ متناغمة مع بداوة البيئة التي شكلت بألوانها وظلالها صورًا حية ونابضة لشعر العباس بن مرداس .

ثالثًا : جاءت ألفاظ العباس في أثناء حديثه عن النبي محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– متسمة بالوضوح والسهولة وعدم التكلف ، كقوله :

بـــأن محمـــدًا عبـــد رســـول لـــــرب لا يضـــــل ولا يجـــــور
وجـــدناه نبيًـــا مثـــل موســـى فكـــل فتـــى يخـــايره مخيـــر[١]

وقولـه :

إمـا أتيـت علـى النبـي فقـل لـه حقًـا عليـك إذا اطمـأن المجلـس
يا خير من ركب المطي ومن مشى فـــوق التـــراب إذا تعـــد الأنفـــس
بـل أسـلم الطـاغوت واتُّبـع الهـدى وبـك انجلـى عنـا الظـلام الحنـدس[٢]

ومن ثم لم نجد – في هذا المجال – لفظا غامضًا يحتاج إلى تفسير ، ولعل في هذا ما يشير إلى ذكاء الشاعر في اختيار معجمه الشعري ، فهو يختار الألفاظ الجزلة ذات القوة والغموض في الفخر والحماسة ، أما في حديثه عن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– فهو يختار الألفاظ السهلة الواضحة التي تؤدي إلى المعنى من أقرب طريق ، نتيجة وضوح الأمر

(١) السابق ، صـ ٦٨ .
(٢) السابق ، صـ ٨٨ .

الذي لا مرية فيه ، فإيمانه بالنبي – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– أمر لا جدال فيه ولا مراء ، ومن ثم لم يلجأ إلى إعمال عقل في اختيار المعاني أو الألفاظ .

رابعًا : شيوع المعجم الإسلامي في شعره ، كدليل على تأثره بالقرآن الكريم ، وبالحديث الشريف ، تأثرًا ملك عليه أقطاره ظاهرًا وباطنًا ، وقد ظهر هذا جليًا فيما قدمنا من نماذج في أثناء الحديث عن مصادر الصورة.

خامسًا : تنوع الأساليب في قصائد العباس وتلونها تلونًا فنيًا يتوافق مع المعنى في براعة وإحكام ، خبرًا وإنشاءً ، فيلاحظ أن أسلوبه قد أتى معظمه خبريًا ؛ ليقرر حقيقة ما ، كقوله عن بني ثقيف في يوم حنين :

هم رأس العدو من اهل نجد فقتلهم ألذ من الشراب
هزمنا الجمع جمع بني قسي وحكت بركها ببني رئاب (١)

فهنا يقرر حقيقة أن بني ثقيف يستحقون القتل ، كما يقرر حقيقة أخرى فحواها أن جيش المسلمين – وخاصة بني سليم – هزموا بني ثقيف شر هزيمة .

ومثله قوله عن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– :

يا خير من ركب المطي ومن مشى فوق التراب إذا تعد الأنفس(٢)

وقوله عن نفسه وقومه :

والله أكرمنا وأظهر ديننا وأعزنا بعبادة الرحمن(٣)

ففي هذين البيتين ومثلهما – وهو كثير– يقرر الشاعر واقعًا لا يحتاج إلى جدال ، ومثل هذه الحقائق يناسبها أن يكون الأسلوب خبريًا ، وما أكثر

(١) السابق ، صـ ٤٨ .
(٢) السابق ، صـ ٨٨ .
(٣) السابق ، صـ ١٥٩ .

هذا في ديوان الشاعر .

وقد يأتي الشاعر – وهذا قليل – ببعض الأساليب الإنشائية لمعنى ما ، كالاستفهام الذي يفيد المدح والتعظيم في مثل قوله :

فمن مبلغ عن النبي محمدًا وكل امرئ يجزى بما قد تكلما (١)

- والنهي الذي يفيد التهديد، في مثل قوله لما توجه النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– إلى لقاء هوازن بعد فتح مكة :

لا تلفظوها وشدوا عقد ذمتكم إن ابن عمكم سعد ودهمانُ

لا ترجعوها وإن كانت مجللة ما دام في النَّعَم المأخوذِ ألبانُ(٢)

- والأمر الذي يفيد النصح والإرشاد في مثل قوله :

أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها منّي رسالة نصح فيه تبيان(٣)

وقد يفيد التحسر ، كقوله :

دع ما تقدم من عهد الشباب فقد ولّى الشباب وزار الشيب والزَّعَرُ (٤)

- والنداء الذي يفيد التعظيم في مثل قوله :

يا خير من ركب المطي ومن مشى فوق التراب إذا تعد الأنفس(٥)

***

المحور الثالث : الموسيقى

يوجد في الشعر نوعان من الموسيقى : ظاهرة خارجية ، وخفية داخلية ، وقد خلط كثير من الباحثين في التفريق بين هذين النوعين(٦) ،

---

(١) السابق ، صـ ١٤٥ .

(٢) السابق ، صـ ١٥٤ .

(٣) السابق ، صـ ١٥٥ .

(٤) السابق ، صـ ٧٣ .

(٥) السابق ، صـ ٨٨ .

(٦) ينظر على سبيل المثال لا الحصر : الصورة الفنية في الشعر الإسلامي د/ صالح الخضيري ، صـ ٣٢٥– ٣٦٥ ، مكتبة التوبة ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م .

وأحسب أن الموسيقى الظاهرة الخارجية تتمثل في الوزن والقافية واختيار حرف الروى ، والجناس ، والطباق ، والتصريع ، والترصيع ، ورد الإعجاز على الصدور ، ... وغير ذلك ، أما الموسيقى الخفية الداخلية : فتتمثل في الاختيار الموقف للكلمات ذات الإيحاءات المشعة ، وما بين حروفها وسكناتها من تواؤم وتناسق لها في تراكيبها المختلفة ، وهذا مرده إلى الحس الداخلي والشعور بتأثير الكلمة في النفس(١).

أولاً : أنواع الموسيقى الظاهرة الخارجية :

أ- الوزن والقافية :

١- إن الناظر في أشعار العباس بن مرداس – التي نحن بصدد الحديث عنها ، والتي قالها في مدح النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- ، وفي الحديث عن فتح مكة وغزوة حنين – يدرك على الفور أن البحر الأثير لديه هو الطويل ، يليه الكامل.

وبحر الطويل هو أكثر البحور شيوعًا واستخدامًا لدى القدماء، وينفرد عن باقي البحور في أن لا يأتي مجزوءًا ولا منهوكًا ولا مشطورًا، كما أنه يعد بحرًا متسعًا ، يستوعب ما لا يستوعبه أغلب البحور الأخرى من التجارب والفنون، كالفخر الذي كان الفن الأثير لدى شاعرنا ، يقول الدكتور/ إبراهيم أنيس : > إن البحر الطويل قد نظم منه ما يقرب من ثلث الشعر العربي ، وإنه الوزن الذي كان القدماء يؤثرونه على غيره ، ويتخذونه ميزانًا لأشعارهم ، ولاسيما في الأغراض الجدية الجليلة الشأن ، وهو لكثرة مقاطعه يتناسب وجلال مواقف المفاخرة والمهاجاة والمناظرة ، تلك التي عُني بها الجاهليون عناية كبيرة ، وظل الشعراء يعنون بها في عصور

(١) ينظر على سبيل المثال : شاعرية العقاد في ميزان النقد الحديث د/ عبد الحي دياب ، صـ ٣٢٨ ، ط دار الهنا ، نشر دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٩م .

الإسلام الأولى < [١] ، ولم يكن العباس بن مرداس بدعًا من شعراء عصره ، ومن ثم كان بحر الطويل هو البحر الأثير الذي أعطاه الشاعر تلك العناية الواضحة، لما يتطلبه من طول النفس في الإنشاد .

ثم يأتي بحر الكامل في المرتبة الثانية عند العباس بن مرداس ومن المعلوم أن بحر الكامل يتفوق على البحور في عدد حركاته ، حيث إنه يحتوي على ثلاثين حركة لم تجمع في بحر غيره ، ومن خصائص هذا البحر > أن الحركات فيه تغلب على السكنات ، وهذا يؤكد جانب الجزالة فيه خاصة إذا ظهرت فيه ظاهرة التشديد ، فإذا كثرت السكنات عما هو مقدر لها أصلاً – وطبيعة هذا البحر تسمح به – وساعدتها حروف المد ... كان جانب الرقة والعاطفة هو الغالب < [٢].

ومن ثم استطاع الشاعر باقتدار أن يوظف هذا البحر في إبراز ما يعتريه من انفعالات وعواطف مختلفة تتعلق بمواقف الفخر ، والتغني ببسالة قومه في الوقوف بجانب الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– في فتح مكة وغزوة حنين .

***

٢– وفي جانب القافية ، لم يتنكب العباس سنن من سبقوه ، فقد استعمل من حروف الروى ما استعمله سابقوه ومعاصروه ، وهجر ما هجره سابقوه ومعاصروه .

والناظر فيما استخدمه العباس– في مجال هذا البحث– يجد أن الحروف التي أكثر من استعمالها رويًا هي : الراء[٣] ، والعين ثم الميم ،

(١) موسيقى الشعر ، د/ إبراهيم أنيس صـ ١٨٩ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثانية ١٩٥٢م .

(٢) مجلة الشعر ، عدد يوليو ١٩٧٦م ، مقال د/ عبده بدوي ، صـ ٨٩ .

(٣) يقول الدكتور إبراهيم أنيس : > فوقوع الراء رويًا كثير شائع في الشعر العربي < موسيقى الشعر ، صـ ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

حيث استعمل كل حرف من هؤلاء أربع مرات [الميم ثلاث مرات فقط] ، ويلي ذلك حروف [الباء والكاف والنون] حيث استعمل كل حرف منهم رويًا مرتين فقط ، أما حروف : [الباء والدال والفاء والقاف والسين] فقد استعملهم رويًا مرة واحدة فقط .

ولا يخفى أن كثرة استعمال الشاعر لهذه القوافي [الراء والعين ثم الميم] يرجع لكونها تعد من القوافي في الذلل [١].

***

ب – **الجناس** :

تزدان أشعار العباس التي معنا بعدد غير قليل من الجناس الذي استطاع توظيفه توظيفًا يفيد السياق أولاً ، ويعمل على إثارة جو موسيقي يفيد في تهيئة المتلقي لاستقبال ما يقول ثانياً ، ومن ذلك قوله :

دع ما تقدم من عهد الشباب فقد ولّى الشباب وزار الشيب والزّعر

واذكر بلاء سليم في مواطنها وفي سليم لأهل الفخر مفتخر[٢]

فالجناس في البيت الثاني بين (الفخر) و(مفتخر) وهو جناس ناقص ، ومثله قوله عن بني سليم :

فإن سراة الحي إن كنت سائلها سُليمٌ وفيهم من تسلّما [٣]

فالجناس في البيت السابق بين (سليم) و(تسلما) وهو جناس ناقص أيضًا. ومثله قوله في مدح النبي محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– :

تعالى علوًا فوق عرش الهنا وكان مكانُ الله أعلى وأعظما [٤]

---

(١) ينظر : المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها للأستاذ / عبد الله الطيب ، جـ١ ، صـ ٥٨،ط دار الآثار الإسلامية ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٩٩٠م – ١٤١٠م .

(٢) ديوان العباس بن مرداس ، صـ ٧٣ .

(٣) السابق ، صـ ١٤٢ .

(٤) السابق ، صـ ١٤٥ .

حيث إن الجناس جاء بين كلمتي (تعالى) و(علوا) وهو جناس ناقص.

ولاشك في أن للجناس أثرا واضحا في إحداث الموسيقى الظاهرة التي تلفت انتباه السامعين ، وتشنف آذانهم لتلقي ما يقال .

جـ - **الطبـاق** :

ويمثله قوله في الفخر يوم حنين :

فمـا تـرى معشـرًا قلّـوا ولا كثـروا إلا قـد أصـبح منّـا فـيهمُ أثـر (١)

فالطباق في البيت السابق وقع بين كلمتي (قلوا) و (كثروا) وهو طباق يعكس مدى قوتهم وأثرهم في العدو ، ومثله قوله :

وجنـد مـن الأنصـار لا يخذلونـه أطـاعوا فمـا يعصـونه مـا تكلمـا (٢)

فالطباق أتى بين كلمتي (أطاعوا) و(يعصون) لإبراز حقيقة اتباع أصحاب محمد محمدًا – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ .

ومثله قوله في غزوة حنين :

أبلـغ هـوازن أعلاهـا وأسـفلها منّـي رسـالة نصـح فيـه تبيـان (٣)

فالطباق وقع بين كلمتي (أعلاها) و(أسفلها)؛ لإبراز قوة جيش المسلمين ، والطباق في كل ما سبق من النوع المنغم الذي يسهم في استمتاع المتلقي بموسيقية الألفاظ مما يسهم في قبوله استماع القصيدة كاملة .

***

(١) السابق ، صـ ٧٣ .
(٢) السابق ، صـ ١٤٢.
(٣) السابق ، صـ ١٥٥.

(د) **التصريع** :

وهو من أنواع الموسيقى الظاهرة الخارجية ، وهو يحدث بجعل العروض مماثلاً للضرب وزنًا ورويًا معًا ، كقوله في يوم حنين مستهلاً بتلك المقدمة :

ما بال عينك فيها عائرٌ سَهِرُ مثل الحماطة أغضى فوقها الشُّفُرُ(١)

ومثله قوله في يوم حنين – أيضًا – :

عفا مِجْدَل من أهله فمُتالِعُ فَمِطْلا أَرِيْكٍ قد خلا فالمصانع (٢)

وكما نرى ، يلعب التصريع دورًا رائدًا في موسيقية النص .

***

(هـ) **الترصيع** :

ويعرفه قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ) بقوله : > هو أن يتوخى فيه تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيه له أو من جنس واحد في التصريف <(٣).

وهو من الأشياء التي تساعد على إثارة المتلقي ، وتجعله على استعداد تام لتلقي ما يقوله الشاعر ، ومنه قوله في الضحاك بن سفيان بن عوف ، وكان يقوم على رأس النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– متوشحًا بالسيف :

طورًا يعانق باليدين وتارة يَفْري الجماجم صارما بَتّاكا

وبنو سليم مُعْنِقون أمامه ضربا وطعنًا في العدو دِراكا (٤)

---

(١) السابق ، صـ ٧٢ .

(٢) السابق ، صـ ١٠٦ .

(٣) نقد الشعر لأبي الفرج قدامة بن جعفر ، تحقيق د/ محمد عبد المنعم خفاجي ، صـ٨٠ ، ط دار عطوة ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م .

(٤) السابق ، صـ ١٢٢ .

ومنه قوله :

أبلــغ هــوازن أعلاهــا وأســفلها منــي رســالة نصــح فيــه تبيــان [١]

وقوله :

والله أكرمنـــا وأظهـــر ديننـــا وأعزنـــا بعبـــادة الـــرحمن

والله أهلككـــم وفـــرق جمعكـــم وأذلكـــم بعبـــادة الشـــيطان [٢]

والترصيع – كما رأينا – لعب دورًا بارزًا في إحداث هذا النوع من الموسيقى .

***

(و) رد الأعجاز على الصدور :

ويعرفونه بقولهم : > أن يجعل أحد اللفظين المكررين ، أو المتجانسين أو الملحقين بهما في أول الفقرة أو البيت ، والآخر في آخرها أو آخره < [٣].

ومثاله في شعر العباس بن مرداس قوله في غزوة حنين مادحًا النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– :

نبايعـــه بالأخشـــبين وإنمـــا يـد الله بـين الأخشـبين نبـايع [٤]

فيلاحظ أن الشاعر رد عجز البيت المتمثل في قوله (الأخشبين نبايع) على ما قبله في صدر البيت ذاته ، ومثله قوله في مدح النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– في حديثه عن غزوة حنين :

---

(١) السابق ، صـ ١٥٥ .

(٢) السابق ، صـ ١٥٩ .

(٣) معجم المصطلحات العربية / مجدي وهبة ، وكامل المهندس ، صـ ١٧٦ ، ط مكتبة لبنان ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٤م .

(٤) السابق ، صـ ١٠٨ .

وقـــال نبـــيُّ المـــؤمنين تقـــدموا وحُـبَّ إلينـا أن نكـون المقـدما [١]

ومثله قوله عن قومه بني سليم وبلائهم في يوم حنين :

واذكـر بـلاء سـليم فـي مواطنهـا وفـي سـليم لأهل الفخر مفتخر [٢]

ويلاحظ أن في رد العجز على الصدر نوعًا من التكرار الموسيقي المحبب إلى النفس ، مما يثير انتباه المتلقي ، ويجعله كثير التأمل فيما يقال ، وهذا بدوره يؤدي إلى إلصاق المعنى بالذهن فلا يبرحه أبدًا .

***

ثانياً : الموسيقى الداخلية الخفية .

نرى هذا النوع من الموسيقى واضحًا في انسجام الألفاظ وتآلفها وحسن اختيارها ، وأيضًا في التركيبات الموحية ، وقد تعرضنا إلى مثل هذا النوع في مواضع متفرقة من البحث ، ومن أمثلته – كذلك – قوله في يوم حنين :

فهنـــاك إذ نُصِـــر النبـــي بألفنـــا عقـــد النبـــي لنـــا لـــواءً يلمـــع
فزنـــا برايتـــه وأوْرَثَ عقـــده مجـــد الحيـــاة وســـؤددًا لا يُنـــزع
وغـداة نحـن مـع النبـي جناحـه ببطـــاح مكـــة والقنـــا يتهـــرع
كانـــت إجابتنـــا لـــداعي ربنـــا بـــالحق منـــا حاســـر ومقنـــع [٣]

ففي البيت الأول يأتي بحرف الجر الباء في كلمة (بألفنا) ليعطي إشارة – وإن كان مبالغة – بأن بني سليم هم سبب من أسباب نصرة النبي في يوم حنين ، وقوله (فزنا برايته) يدل على أنهم حازوا الشرف العظيم

(١) السابق ، صـ ١٤١ .
(٢) السابق ، صـ ٧٢ .
(٣) السابق صـ ٩٨ .

والمجد المؤثل والمتمثل في الحصول على تلك الراية التي منحها النبي الكريم – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– لمن يستحقها من بني سليم ، ومن ثم راح الشاعر يتبارى ويتعاظم بهذا الفوز العظيم الدائم ، فمجرد الحصول على تلك الراية يعد فوزًا ، يأتي بعده فوز آخر ، وهو النصر والتمكين على العدو .

وفي اختياره لكلمة (مع) في قوله (مع النبي) ما يفيد ملازمته والجيش للنبي – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– في حربه مع (ثقيف) ومن ثم عبر بكلمة (جناحا) في قوله (جناحا جيشه) ، ليفيد مدى أهميتهم .

أقول : إن هذا النوع من الموسيقى ، المتمثل في حسن اختيار الشاعر لكلماته يساند ويعاون الموسيقى الظاهرة في إحداث هزة في نفس المتلقي ،مما يساعد في تلقي ما يقال دون رتابة أو ملل .

***

المحور الرابع ظواهر فنيـة :

مقدمة القصيدة :

لعل من ناقلة القول الإشارة إلى كثرة ما كتب وسطر عن مقدمة القصيدة قديمًا وحديثًا ،بيد أن الأمر الذي ينبغي الإشارة إليه هو أن هذا الموضوع ما زال في حاجة ماسة إلى كشف ما يكتنه بعض جوانبه من ملابسات وغموض، ولعل من تلك الغوامض التي تستحق الدراسة الحديث عن مقدمة القصيدة في شعر العباس .

والقارئ في شعر العباس بن مرداس الذي قاله بعد إسلامه ، والذي ينسب إليه بالإجماع يدرك أن شعره من ناحية المقدمة ينقسم إلى قسمين : قسم بدأ قصائده فيه بمقدمة ، وقسم آخر هجم فيه العباس على موضوعه مباشرة ، دون التمهيد لقصائده بمقدمة .

أما القسم الذي بدأ به قصائده بمقدمة ، فيلاحظ فيه ملاحظة مهمة جدًا، وهي أن تلك المقدمة قصيرة جدًا تكاد لا تجاوز الخمسة أبيات على الأكثر [١] ، فضلا عن قلة عدد هذا النوع من القصائد ، ومن ناحية الفن ، نجد أن هذه المقدمات لا تخرج عن الحديث عن الطلل وذكر المحبوبة وفراقها ، وقد يذكر أن سبب فراقها اتباعها دين الكفار ، واستمساكه هو بحبل النبي محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– كما في قوله :

عفا مجدلٌ من أهله فمُتالعُ فَمِطلا أرِيْكٍ قد خلا فالمصانع
ديار لنا يا جُمْل إذ جُلّ عيشنا رَخِيٌّ وصِرف الدهر للحيّ جامع
حُبيّبة ألوتْ بها غربة النوى لبينٍ فهل ماضٍ من العيش راجع
فإن تبتغي الكفار غير ملومة فإني وزير للنبي وتابع [٢]

ويلاحظ أن الشاعر في هذه المقدمة لجأ إلى التكثيف والتخلص من الاستطراد أو الإطناب ، فهو لم يذكر سوى أسماء الأماكن التي استحالت رسمًا وخرابًا ، بعد أن كانت مأهولة بالحبيبة التي نأت ، ومن ثم فهو يحن لتلك الأيام الخوالي ، ويتمنى رجوعها ، بيد أن ذلك صار مستحيلاً ؛ لكونها تريد البقاء في الكفر ، وهنا يبدع العباس في المحافظة على وحدة القصيدة بحسن التخلص بهذا البيت :

فإن تبتغي الكفار غير ملومة فإني وزير للنبي وتابع

مبتدئًا الشروع في إبداع لوحة أخرى يرسم فيها صورة لقومه بني سليم وهم يبايعون النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– ويقدمون له الولاء والطاعة والجهاد في سبيل الله .

(١) السابق ، صـ ١٠٧ ، ١١٤ .
(٢) السابق ، صـ ١٠٦ .

أما القسم الثاني الذي هجم فيه العباس على موضوعه مباشرة دون التقديم له بمقدمة ، فأغلبه يدور حول مدح النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– خالصًا [١]، أو مدمجًا بالحديث عن يوم حنين[٢] ، أو خالصًا بالحديث عن فتح مكة فقط [٣] أو عن يوم حنين فقط [٤].

ومن أمثلة النوع الأول قوله عن النبي محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– في هذه المقطوعة التي تقول :

رأيتك يا خير البرية كلها نشرت كتابا جاء بالحق معلما
ونورت بالبرهان أمرًا مدمسًا وأطفأت بالبرهان نارًا مضرما
فمن مبلغ عنّي النبي محمدًا وكل امرئ يجزي بما قد تكلما
تعالى علوًا فوق عرش الهنا وكان مكانُ الله أعلى وأعظما[٥]

ومن أمثلة النوع الثاني الذي دمج فيه الشاعر بين مدح النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– وبين حديثه عن يوم حنين ، قوله :

نصرنا رسول الله من غضب له بألف كمِيّ لا تعد حواسره
حملنا له في عامل الرمح راية يذود بها في حومة الموت ناصره
ونحن خضبناها دمًا فهو لونها غداة حنين يوم صفوان شاجره
وكنا على الإسلام ميمنة له وكان لنا عقد اللواء وشاهره
وكنا له دون الجنود بطانة يشاورنا في أمره ونشاوره
دعانا فسمانا الشعار مقدما وكنا له عونا على من يناكره

(١) السابق ، صـ ٦٨ ، ١٢١ ، ١٤٥ .
(٢) السابق ، صـ ٨٣ ، ٨٧ ، ١٤١ .
(٣) السابق ، صـ ١٣٩ .
(٤) السابق ، صـ ٤٦ ، ١٠٢ .
(٥) السابق ، صـ ١٤٤ .

جـزى الله خيـرًا مـن نبـي محمـدًا وأيـده بالنصـر علـى مـن يناكره (١)

فهو في القصيدة السابقة يمزج بين مدحه للنبي – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– وبين الحديث عن يوم حنين ومشاركة بني سليم في هذا اليوم وبيان مدى شجاعتهم وبسالتهم .

ومن أمثلة النوع الثالث – وهو حديثه من فتح مكة فقط – قوله :

منـا بمكـة يـوم فـتح محمـد ألـف تسـيل بـه البطـاح مسـوم
نصروا الرسول وشاهدوا أيامه وشـعارهم يـوم اللقـاء مقـدم
فـي منـزل ثبتت بـه أقدامهم ضـنك كـأن الهـام فيـه الحنـتم
جـرت سـنابكها بنجـد قبلهـا حتـى استقاد لها الحجاز الأدهم
الله مكنـــه لنـــا وأذلـــه حكـم السـيوف لنـا وجـد مـزحم
عـود الرياسـة شـامخ عرنينـه متطلـع ثُغَـر المكـارم خِضْـرَم (٢)

ومن أمثلة النوع الرابع – أعين حديثه عن يوم حنين فقط قوله :

إذا فُـرِس العـوالي لـم يخـالج همـومي غيـر نصـرٍ واقتـراب
فـإني والسـوابح يـوم جمـع ومـا يتلـوا الرسـول مـن الكتـاب
لقـد أحببـت مـا لقيـت ثقيـف بجنـب الشـعب أمـس مـن العـذاب
هـمُ رأس العـدو مـن أهـل نجـد فقـتلهم ألـذ مـن الشَـراب(٣)

إلى آخر هذه القصيدة .

ولعل خلو تلك القصائد من المقدمات يتماشى مع ما قاله ابن رشيق في حديثه عن مذاهب الشعراء في افتتاح قصائدهم :

"ومن الشعراء من لا يجعل لكلامه بسطا من النسيب ، بل يهجم على

(١) السابق ، صـ ٨٣ ، ٨٤ .
(٢) السابق ، صـ ١٣٩ .
(٣) السابق ، صـ ٤٦ .

ما يريده مكافحة ، ويتناوله مصافحة ، وذلك عندهم هو : الوثب، والبتر ، والقطع ، والكسع والاقتضاب، كل ذلك يقال ، والقصيدة إذا كانت على تلك الحال بتراء كالخطبة البتراء والقطعاء ، وهي التي لا يبتدأ فيها بحمد الله عز وجل على عادتهم في الخطب " [١].

ويرى الدكتور / حسين عطوان أن خلو تلك القصائد من المقدمات قد يرجع لبعض الأمور الافتراضية منها : ضياع تلك المقدمات من الرواة ، أو أن تكون تلك القصائد قيلت ارتجالاً ، استعجالاً للوقت من أجل قرار عاجل[٢] ، ولعل الرأي الأخير هو ما تميل إليه النفس ، حيث إن الموقف يتطلب عدم ذكر المقدمة ، فكيف يفكر الشاعر في الإتيان بمقدمة وهو يرتجل الحديث عن مدح النبي محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– ، أو عن فتح مكة ويوم حنين اللذين اشترك فيهما الشاعر بنفسه ، مجاهدًا ، ومقاتلاً بسيفه ، ومن ثم فإن المرجح أن تكون هذه القصائد قيلت ارتجالاً لوقتها ، ومن أجل ذلك ارتأى الشاعر أن الموقف لا يليق به الإتيان بمقدمة طللية أو غيرها .

***

ومما يحسب للشاعر ويقوي موقفه في هذا المجال هو توفر الوحدة الفنية في تلك القصائد التي خلت من المقدمات ، تلك الوحدة التي نتغياها والتي تعني هيمنته إحساس واحد أو لحظة شعورية واحدة ، أو رؤية نفسية ذات لون محدد على العمل الفني كله [٣] إذ – بهذه الوحدة – يتكامل العمل

(١) العمدة لابن رشيق ، تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد ، جـ١ ، صـ ٢٣١ ، دار الجيل بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .

(٢) ينظر مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي ، د/ حسين عطوان ، صـ١٠٩ ، ١١٠ ، ط دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٠م .

(٣) ينظر قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث د/ محمد زكي العشماوي ، صـ ١١١ ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٩م .

الفني في شعر الشاعر دون أن نتنكب الطريق ، ولعل هذا يتناسب – كذلك – مع ما قاله د/ عبد الرحمن عثمان من أن الوحدة في القصيدة العربية متحققة على هيئة انسجام بين معانيها ، وتعاطف بين جملها وتراكيبها وتناسب في تنسيق أبياتها ، وتوافق فيما يشع فيها من جو فني ، ونبرة سارية ، بحيث لا يقع فيها اختلاف أو نشاز أو تكلف أو اضطراب [1].

***

(١) مذاهب النقد وقضاياه د/ عبد الرحمن عثمان ، صـ ١٦٥ ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٥م .

الخاتمـة

بعد هذه التطوافة السريعة في شعر الصحابي الجليل العباس بن مرداس ، ومن خلال ما تم رصده من ملامح في هذا الجانب ، أمكننا التوصل إلى نتائج عديدة صار أهمها ما يأتي :

١- اتصف العباس بن مرداس – في جاهليته – بصفات وسجايا عديدة قلما اجتمعت في رجل واحد آنذاك ، فقد كان قوي الشكيمة ، صاحب رأي في قومه ، ومن أجل ذلك حرم – في جاهليته – الخمر على نفسه ، كما اتصف بصفة أقرها الإسلام ، وهي صفة الوفاء ، فقد كان وفيا لقومه وفاءً انعكس على شعره سلبًا وإيجابًا .

٢- أسلم العباس قبل فتح مكة عن اقتناع ورضى ، وفهم وتدبر ، حين أدرك أن الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- نور ورحمة بعثا لهداية الكون، ولذا كان إصراره على مبايعته النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ واضحًا.

٣- إن ما ورد من قصص شهيرة وذائعة دلت على حدة طبعه وغلظته في أحد المواقف مع الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- حين أعطى المؤلفة قلوبهم وفضل بعضهم على بعض ، أقول : إن ذلك كله كان في بداية إسلامه ، قبل ان يتمكن الإسلام من قلبه وأعماق عقله ، حتى إذا تمكن الإسلام من قلبه ، وملك عليه أقطاره اختلف الأمر ، فرقت روحه ، ولان طبعه ، ووضح الحس الإسلامي في شعره ،حتى إنه بلغ مكانة عند النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- فصار يبره ويكرمه ، حتى ورد أنه – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- كساه حلة مثل التي كساها كعب بن زهير .

٤- امتلك العباس بن مرداس موهبة شعرية جعلت القدماء يضعونه في

طائفة الشعراء الفرسان .

٥- رسم العباس للنبي – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– صورًا واقعية عديدة ورائعة في آن ، حيث كان يراه ذا ملامح قرآنية متفردة ، فهو – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– خير البرية ، آمين ، أول شافع ، آخر مبعوث السماء ، مع ملاحظة أن الشاعر لم يغال في إضفاء صفاته على النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ .

٦- لم يفت العباس أن ينوه بشجاعة النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– التي تعد مثلاً شرودًا مجلجل الأصداء ،قولية كانت أم فعلية ، وقد ضرب رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– في يوم حنين أروع الأمثلة على ذلك ، وكثيرًا ما رأينا العباس يفتخر بمواقف النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– في هذه الغزوة .

٧- استطاع الشاعر أن يجمع – في شعره – بين شيئين يصعب الجمع بينهما وهما : مدح الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– ، والفخر بقومه (بني سليم) وقد حاول الشاعر أن يوفق بين هذين الأمرين ، فرأيناه يمدح النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– بصفات عديدة ، ومنها الشجاعة التي تقتضي أن يذكر قومه ، مشيرًا إلى أنهم نصروا الله ورسوله ، وأمدوا الجيش بألف فارس ، ملتزمًا – في ذلك – الأدب الجم ، والتواضع أمام شخص النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– .

٨- وضح من خلال بعض أشعار العباس – بما لا يدع مجالاً للشك – أن الإسلام تمكن من نفسه تمكنا أنساه النعرة القبلية والفخر بالأمجاد والأحساب ، وأبدله فخرًا من نوع آخر ، هو الفخر بنصر دين الله ، حتى صار لا يبغي سوى رضا الله والفوز بالجنة .

٩- تأثر الشاعر بالقرآن الكريم والحديث الشريف تأثرًا ملك عليه أقطاره ،

وظهر أثره في أشعاره .

١٠- حرص الشاعر على انتقاء ألفاظ معجمه الشعري المحملة بطاقات إيحائية .

١١- ورد في شعر العباس بعض الأنماط التصويرية التي تتساوق مع ما وضعه النقد الحديث ، كالصورة الوصفية ، والحركية ، واللونية وغير ذلك ؛ كدليل على أن شعر العباس ، وهو الشاعر المخضرم يحتوي على طاقات هائلة من الفن ، تلتقي مع النقد القديم بإشراقاته ، وتتعاون مع النقد الحديث بإضافاته ومداخلاته .

١٢- من يتأمل سمات وخصائص ألفاظ وأساليب الشاعر- في مجال بحثنا- يجد أنها تتسم بسمات عديدة منها : تمكن الشاعر من استخدام الألفاظ الموائمة لطبيعة الفكرة التي يعالجها ، ومنها : جزالة الألفاظ ورصانة التعبير في مجال الفخر ، والسهولة والوضوح وعدم التكلف في مجال مدح النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- ، ومنها : شيوع المعجم الإسلام في شعره ، انعكاساً لتأثره بالقرآن الكريم والحديث الشريف ، ومنها كثرة استخدامه للأسلوب الخبري ، وندرة استخدامه للأسلوب الإنشائي كدليل على وضوح قضيته .

١٣- لعبت الموسيقى الظاهرة والخفية دورًا مهمًا في نفس المتلقي ، حيث أسهمتا في تلقي ما يقال دون رتابة أو ملل .

١٤- يعد بحر الطويل هو البحر الأثير لدى الشاعر ، يليه الكامل ، ثم البسيط ، وقد استطاع الشاعر أن يوظف - باقتدار بحر الطويل في إبراز ما يعتريه من انفعالات وعواطف مختلفة تتعلق بمواقف الفخر .

١٥- وأخيرًا انقسم شعره - من حيث المقدمة - إلى قسمين ، قسم يذكر فيه المقدمة دون تطويل أو إسهاب ، وقسم يخلو من المقدمة ، إما بسبب

ضياعها من الرواة ، وإما أن تكون قد قيلت ارتجالاً من أجل قرار عاجل، ولعل هذا – أعني عدم وجود مقدمة طللية أو غيرها – مما أسهم في وجود الوحدة الفنية التي نادى بها أدباؤنا ونقادنا في هذا العصر .

***

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فهرس المصادر والمراجع

١- لأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ٢٠١٠ .

٢- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، تحقيق محب الدين العمروي ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

٣- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثروبيان إعجاز القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري، تحقيق د/حفني محمد شرف ، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ،مصر ،١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .

٤- جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط دار المعارف بمصر ، الطبعة الخامسة ١٩٨٢م .

٥- ديوان العباس بن مرداس ، تحقيق د/ يحيى الجبوري ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .

٦- ديوان امرئ القيس ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، سلسلة الذخائر ، الطبعة الرابعة .

٧- ديوان بشار بن برد ، جمع وتحقيق وشرح / الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، ط وزارة الثقافة ٢٠٠٧م .

٨- ديوان حسان بن ثابت بشرح البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

٩- ديوان عنترة بن شداد ، ضبط وتحقيق الأستاذ / عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠١م .

١٠- ديوان كعب بن زهير ، تحقيق الأستاذ / علي فاعور ،ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

١١- الزاهر في معاني كلمات الناس لابن الأنباري (ت٣٢٨هـ) تحقيق د/ يحيى مراد، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
١٢- سير أعلام النبلاء للذهبي ، ط مؤسسة الرسالة ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
١٣- السيرة النبوية لابن هشام تحقيق / طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل ، بيروت، لبنان .
١٤- شاعرية العقاد في ميزان النقد الحديث د/ عبد الحي دياب ، ط دار الهنا ، نشر دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٩م .
١٥- الشعر العربي المعاصر : قضاياه وظواهره الفنية د/ عز الدين إسماعيل ، ط دار العودة، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٨١م .
١٦- الشعر والشعراء لابن قتيبة ، تحقيق / أحمد محمد شاكر ، ط دار المعارف، مصر، ١٩٨٢ .
١٧- صحيح البخاري ، تحقيق د/ مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير، اليمامة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
١٨- صحيح مسلم بشرح النووي ، نشر وتوزيع دار السلام ، القاهرة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
١٩- الصورة الأدبية ، د/ مصطفى ناصف ، مكتبة دار مصر للطباعة - القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٥٨م .
٢٠- الصورة الاستعارية في الشعر العربي الحديث ، رؤية بلاغية لشعرية الأخطل الصغير ، د/ وجدان الصايغ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م .
٢١- الصورة الشعرية / سيسل دي لويس ، ترجمة د/ أحمد نصيف الجنايني وآخرين ، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر ، الكويت ، ١٩٨٢م .

٢٢- الصورة الشعرية واستيحاء الألوان د/ يوسف حسن نوفل ، ط الاتحاد العربي ، مصر ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
٢٣- الصورة الفنية في الشعر الإسلامي د/ صالح الخضيري ، مكتبة التوبة ، الرياض، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .
٢٤- الصورة الفنية في النقد الشعري ، د/ عبد القادر الرباعي ، ط دار العلوم ، السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤م .
٢٥- العمدة لابن رشيق ، تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
٢٦- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ،دار مصر للطباعة، نشر مكتبة مصر ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .
٢٧- قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث د/ محمد زكي العشماوي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٩م .
٢٨- الكناية في القرآن الكريم موضوعاتها ودلالتها البلاغية ، د/ أحمد فتحي رمضان الحياني ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، عمان ، الطبعة الأولى ٢٠١٤م - ١٤٣٥هـ .
٢٩- المحبر لأبي جعفر محمد بن حبيب (ت٢٤٥هـ) برواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري ، تحقيق إيلزه ليختن شتيتر، الناشر دار الآفاق الجديدة ، بيروت.
٣٠- مذاهب النقد وقضاياه د/ عبد الرحمن عثمان ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٥م
٣١- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها للأستاذ / عبد الله الطيب ، ط دار الآثار الإسلامية ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٩٩٠م - ١٤١٠م .

٣٢- مرويات غزوة حنين وحصار الطائف ، إبراهيم بن إبراهيم قريبي ، نشر عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، المدينة النبوية ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

٣٣- مسند أحمد بن حنبل ، الناشر/ مؤسسة قرطبة ، القاهرة .

٣٤- معجم الشعراء للمرزباني ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الذخائر (٩٣) الشركة الدولية للطباعة بالقاهرة ، ٢٠٠٣م .

٣٥- معجم المصطلحات العربية / مجدي وهبة ، وكامل المهندس ، ط مكتبة لبنان ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٤م .

٣٦- مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي ، د/ حسين عطوان ، ط دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٠م .

٣٧- من عيون الأدب العباسي دراسة تحليلية نقدية د/ أحمد محمد علي حنطور، ط التركي ، طنطا ، الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .

٣٨- موسيقى الشعر ، د/ إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثانية ١٩٥٢م

٣٩- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء للمرزباني ، تحقيق / محمد حسين شمس الدين ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

٤٠- نقد الشعر لأبي الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق د/ محمد عبد المنعم خفاجي ،ط دار عطوة ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨

***

المجلات والدوريات :

٤١- المجلة الأردنية في اللغة العربية وأدابها ، مج ٥ ، ربيع الثاني ١٤٣٠هـ - نيسان ٢٠٠٩م .

٤٢- مجلة الأقلام العراقية ، السنة الأولى ، العدد الثاني ، تشرين الأول / جمادى الأولى ، ١٩٦٤م.

٤٣- مجلة الشعر ، عدد يوليو ١٩٧٦م.

٤٤- مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة (جامعة الأزهر) ، العدد الرابع ، بدون تاريخ .

٤٥- مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة (جامعة الأزهر) العدد ٣٠ ، جـ١ ، ٢٠١١م.

***